الجواهر المعدة في فضائل جدة

تأليف

أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الشافعي

ت ١٣٢٧ هـ

تحقيق

الدكتور علي عمر

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



تأليف

أحمد بن محمد بن أحمد الحضراوي المكي الشافعي
ت ١٣٢٧هـ

تحقيق

الدكتور علي عمر
بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعتي
المنيا والإمام بالرياض

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع	٢٠٠٢/٧٧٠٦
I.S.B.N الترقيم الدولي	977-341-065-x

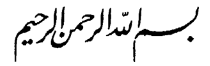


الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - الظاهر - القاهرة

ت: ٥٩٢٢٦٢٠ - ف: ٥٩٣٦٢٧٧



مقدمة التحقيق

لا نعرف عن بداية الكتابات عن جُدّة سوى ما ورد فى كتب البلدان والرحلات.

ومن أوائل من كتب عن جُدّة الفاكهى - من علماء القرن الثالث الهجرى - فقد وردت لديه شذرات عن جدة، تحت عنوان «ذكر جدة والتحفظ بها وبما فيها وأنها خزانة مكة».

وكذلك ما ورد لدى البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ، فى معجم ما استعجم.

وكذلك ما ورد لدى ابن جبير المتوفى سنة ٦١٤هـ، فى رحلته.

ولدى ياقوت المتوفى سنة ٦٢٦هـ فى معجمه، وكلها شذرات أوردها كل منهم عند موضعها فى ترتيب المادة التى تناولوها، أو الأخبار التى ساقوها عن جدة.

كذلك كتب الفاسى المتوفى سنة ٨٣٢هـ عن فضل المرابطة بجدة، وعن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة.

كذلك لا نعرف عن بدايات التأليف فى تاريخ جدة - وخاصة المؤلفات التى أفردت للحديث عن تاريخ جدة - سوى مؤلف لقاضى القضاة بالحرمين الشريفين نجم الدين محمد بن يعقوب المالكى المتوفى سنة ٧٩٠هـ، وهو «تنسم الزهر المأنوس عن ثغر جدة المحروس».

وكذلك مؤلف عن جدة وأحوالها لجار الله بن فهد المتوفى سنة ٩٥٤هـ.

ثم تتابعت الكتابات فى تاريخ جدة فكتب ابن فرج المتوفى سنة ١٠١٠هـ، رسالة عن جدة هى «كتاب السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة».

كما كتب جمال بن عمر المكى المتوفى سنة ١٢٨٤هـ كتابًا عن جدة بعنوان «الفرج بعد الشدة فى تاريخ جدة».

كذلك كتب الحضراوى المتوفى سنة ١٣٢٧هـ فى تاريخ جدة، وله عنها كتابان:

أحدهـما فى «المـفاضلة بينهـا وبين الطائف» والثـانى «الجواهر المـعدة فى فـضائل جـدة وتاريخها» وهو الكتاب الذى نقدم له اليوم.

وقد اتخذ الحـضراوى من رسالتى ابن فهد، وابن فـرج مصدرًا عوَّل عليه، كـما أفاد كذلك من ابن ظهيرة المكى المتوفى سنة ٩٤٠هـ فى تاريخه عن جُدة.

المؤلف ونسبة الكتاب إليه[١]:

هو: أحمـد بن محمـد بن أحمـد الحضـراوى، ولد فى الإسكندرية سنة ١٢٥٢هـ، ثم انتقـل مع والده إلى مكة، وعمـره سبع سنين، فنشأ بها وتأدب وتفقـه، وألف مؤلفات فى الدين وفى التـاريـخ وفى فـضـائل مكة والمـدينة والطائـف وجـدة، وقـد توفى سنة ١٣٢٧هـ.

وقد حوت رسالتـه هذه جل ما يتعلق بتاريخ جدة، فهى أوفى مـا كتب فى الموضوع، ومع احتوائها على أخبار لا تثبت أمام النقد إلا أن للحضراوى بعض الآراء الجيدة التى منها ملاحظته على الحكاية الخـرافية التى ذكرها ابن المجاور فى تاريخـه عن انتقال أهل مدينة جدة من الفرس، وأن سبب ذلك غلط أحدهم بإرسال الـضريبة المقررة لحاكم مكة، وهى حمل من حـديد فى كل عام، فـأرسل بدل حمل الحديد حـملاً من ذهب، مـما دفع ذلك الحاكم إلى أن يتـعنت فى طلب الضريبة فى العـام التالىممـاثلة لضريبة العـام الذى قبله، فكان تعنته سـببًا لانتـقال التجـار، وهى خرافة ما زال يرددهـا كل من كتب عن تاريخ هذه المدينة حتى فى عصرنا.

ومما تجـدر الإشارة إليه، أن ابن المجاور مع كـونه مجهولاً، فإن فى كتـابه خرافات كثيرة تجعله غير جدير بأن يعتمد فيما ينفرد بذكره، ولعله هو أول من ذكر تلك الخرافة.

ورغم ما أورده الحضراوى فى رسالته من اعتقاده بتأثير الأولياء والصالحين، ورغم ما فيها من بعض أشيـاء يدرك كل قارئ عدم صحتها فإن الغاية من نشـرها إيجاد مصدر جديد لتاريخ جدة.

---

(١) اعتمدت فى كتابـاتى هنا فى إيراد بعض فقرات مما كتبه الشيخ حمـد الجاسر فى مجلة العرب ج ٥، ٦ السنة ١٣ - ١٣٩٨هـ.

هذا، وعنوان الرسالة كما ورد فى النسخة التى وصلت إلينا «الجواهر المعدة فى فضائل جدة[١]».

ومثل هذه التسمية لدى الزركلى فى الأعلام[٢].

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخته المخطوطة فى خزانة شستربتى ورقمها ٣٧٢٢.

وكذلك إلى النسخة التى نشرت فى مجلة العرب سنة ١٣٩٨هـ.

كما رجعت إلى ما تيسر الحصول عليه من المصادر التى ذكرها، وما اقتضاه الأمر من الرجوع إلى الكتب الأخرى مما له صلة بموضوع الكتاب.

القاهرة فى أغسطس سنة ٢٠٠١م

د. على عمر

(١) انظر ص ١١ من كتابنا هذا.

(٢) الأعلام ج ١ ص ٢٣٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد المالك الملك، ونشكر مجري الفلك، الخالق البارئ
الصمد الواحد، مبيد القرون الذي اذا اراد شيئا فقال
له كن فيكون، والصلاة والسلام على سيد الانام،
صاحب المجد والجود، والمقام المحمود، سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون
الى يومنا المشهود وبعد فيقول الراجي غفران المساوي، احمد بن محمد
ابن احمد الحضراوي المكي الهاشمي، اصلح الله سرائرهم ونور
بصائرهم مع العفو والرضوان، والرحمة والغفران ولجميع
المسلمين امين، لما كان بندر جدة من المآثر المشهورة
والمعالم المحمودة، لاحتوائها على المقاصد العظيمة، والمشاهد
الجسيمة، ولكونها للبلد الأمين كالرأس من الجسد، فهي دهليزه
وبابه المحكم، ولا يكون من الدخول الى الدار الا من الباب، كما قال
الحق تعالى واتوا البيوت من ابوابها فهي البلدة الزكية
او الجزيرة الغربية، والدخول منها تطلب المعارف والقرب
احببت اظهار فضلها وذكر تواريخها لأني كنت اطلعت
على تاريخ العلامة الفاضل الشيخ عبد القادر بن احمد بن محمد بن
فرج الشافعي خطيب جدة تلميذ الحافظ ابن حجر الهيتمي، المتوفى
يوم السبت سابع شهر رمضان سنة عشر بعد الالف بجدة
المسمى السلاح والعدة في فضل ثغر جدة فوجدته تاريخا مختصرا
جدا لانه لم يوف بالمقصود ولاسيما ما حدث بعد وفاته من
حكامها والجنود احببت اظهار فضلها في هذه
الوريقات:

الصفحة الأولى من المخطوطة

بسم الله الرحمن الرحيم

حمـدًا لمالك الملك، وشكرًا لمُجْرى الفلك، الخالق البارئ الصـمد الواحد، مُبـيد القـرون، الذى إذا أراد شيـئًا قـال له: كُنْ فيـكون، والصَّلاة والسـلام على سيـد الأنام، صاحب الجد والجود، والمقام المحمود، سيـدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وكُلٍّ ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، إلى يومنا المشهود.

وبعد، فيقول الراجى غفران المساوى، أحـمد بن محمد بن أحمد الحضراوى المكى الهاشـمى، أصلح الله سرائرهم ونوَّر بصـائرهم مع العفو والرضـوان، والرحمة والغـفران ولجميع المسلمين، آمـين: لما كان بَنْدَرُ جدة من المآثر المشهودة، والمـعالم المحمودة، لاحتوائهـا على المعاهد العظيمة، والمشـاهد الجسيمة، ولكونهـا للبلد الأمين كالرأس من الجسد، فهى دهْلِيْزُه وبابه المُعَـدُّ، ولا يكون من الدخول إلى الدار إلا من الباب، كما قال تعالى: ﴿ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ (سورة البقرة: ١٨٩) فهى البلدة الزكيـة أول جزيرة العرب، وللدخول منها تطلب المعارف والقرب.

أَحْبَبْتُ إظـهار فضلها وذكر تـواريخها، لأنى كنت اطلعت على تاريخ العلامـة الفاضل الشيخ عبد القادر بن أحـمد بن محمد بن فرج الشافعى، خطيب جُـدَّة، تلميذ الحافظ ابن حَجَرٍ الهَيْتَمِى، المتوفى يوم السبت سابع شـهر رمضان سنة عشرة بعد الألف بجدة المسمى «السلاح والعُدَّة فى فضل ثغر جدة[1]» فوجدته تاريخًا مختصرًا غير أنه لم يوفِ بالمقصود، ولا سيما لم يُوفِ مـا حدث بعد وفاته من حكامها والجنود، أحبـبت إظهار فضلها فى هذه الوريقات، وذكر بعض أخبارها مـما هو آتٍ، فجاءَت بحمد الله رسالة عجيبـة، جمعتها من كتب عديدة لأئمَّة ذوى مناقب حـميدة، راجيًا من الله القبول، ونقحـتها بذكر بعض مناقب الفحول، أمدَّنا الله بهم آمين.

وسَمَّيْتها: «**الجواهر المُعَدَّة فى فضائل جدَّة**» جعلها الله نفعًا للعباد، وذُخْرًا لقارئها يوم المعاد.

---

(١) قامت بطبعه مكتبة الثقافة الدينية بأخرة بالقاهرة.

ورتبتها على مقدمة وفصلين وخاتمة، نسأل الله حسنها.

المقدمة فى سبب إنشائها وضبط أسمائها ومَنْ أنْشأها.

الفصل الأول: فى فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة.

الفصل الثانى: فى مآثرها وما احتوت عليه من سكانها.

الخاتمة: فى بعض حكايات لطيفة وقعت فى عرصاتها.

فأقول وبالله التوفيق:

المقدمة

فى سبب إنشائها، وضبط اسمائها ومن انشا ها

قال الميْرغَنى رحمه الله فى «عدة الإنابة»: جُـدَّة، بضم الجيم المعجمة وتشديد الدال وسكون الهـاء، وقيل بالكسـر، وهى إسْكِلَة[١] مكة بينهمـا مرحلتان، ويقال لهـا: جديدة أيضًا بكسر الدال المـهملة وفتح ما قبلها بعدها ياء سـاكنة تحتية ودال مهملة مـفتوحة وهاء ساكنة.

قال ابن الوردى رحمـه الله فى «الخريدة»: يقال: إن كل بلدة لها اسـمان فناهيك بها شرفًا وعظمة.

وقال فى «القامـوس»: جُدُدٌ كَسُرُر، وصرام النخل كالجِـدَاد والْجَدَاد وأَجَدَّ: حان أن يُجَدَّ، وبالضَّم ساحل البحر بمكة، كالجُدَّة، وجدَّة لموضع بعينه منه بالضم وشاطئ النَّهر، كالجِدِّ والجدَّة بكسرهما والجُدَّة بالضم.

والجَدُّ وَجْهُ الأرض كالجدَّة بالكسر، والجديد والجدد. انتهى.

ونقل العلامة المحدث جار الله بن فهد أن السيد الفاسى ذكر فى مسودة له أن سبب تسمية جدَّة بهذا الاسم كونها منزل أُم البشر حوَّاء وكونها دُفنت بجدة فهى جدَّة جميع العالم[٢].

ونقل أيضًـا عن الحافظ عـز الدين ابن الأثيـر فى «النهـاية»: الجُد ـ بالضم ـ سـاحل البحر، والجدة أيضًا. انتهى[٣].

---

(١) الإسْكِلَةُ: مرفأ السفن.

(٢) لم ينقله جار الله بن فهـد عن الفاسى، وإنما نقله عن جده الحافظ نجم الدين بن فهـد، كما ذكر فى كتابه: «حسن القرى ص ٢٨» ولديه: «وقد رأيت جدى الـحافظ نجم الدين عمر بن فهد ذكر فى مسودة بلدانياته أن سبب تسميتها بجدة لأنه نزلتها أم البشر حواء ودُفِنت بها، فهى جدة جميع من فى العالم».

(٣) ابن الأثير: النهاية فى غريب الحديث ج ١ ص ٢٥٤.

وفى «لسان العرب» قال: (*)والجُدَّة ساحل البحر بمكة، وجُدَّة اسم موضع قريب من مكة مشتق منه، وفى حديث ابن سيرين: كان يختار الصلاة على الجُدِّ إنْ قَدرَ عليه، الجُدُّ ـ بالضم ـ شاطئ النهر، والجُدَّةُ أيضًا، وبه سميت المدينة التى عند مكة شرفها الله جُدَّة، وجُدَّة كل شىء طريقته، وجُدَّته(١): علامته، والجُدَّة الطريقة والجمع جُدَدٌ، وقوله عز وجل: ﴿جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾ أى طرائق تخالف لون الجبل، ومنه قولهم: ركب فلان جُدَّةً من الأمر إذا رأى فيه رأيًا، قال: والجدَّة: قال الفرَّاء الجُدَدُ: الخِطَطُ والطُّرُق، تكون فى الجبال خِطَطٌ بيض وسود وحُمْر، كالطُّرُق واحدها جُدَّة، وأنشد قول امرئ القيس:

كأنَّ سَرَاتَهُ(٢) وجُدَّةً(٣) مَتْنِه
كَنَائِنُ يَجْرِى فَوْقَهُنَّ دَلِيص(*)

قال الأزهرىُّ: وجادَّةُ الطريق سميت جادَّةً لأنها خُطَّة مستقيمة.

وفى «السيرة الحلبية» أن حوَّاء أهْبِطتْ بجدةَ، وحرم الله عليها دخول الحرم، والنظر إلى خيمة آدم وإلى شىء من مكة لأجل خطيئتها، وأنها أرادت أن تدخل مع آدم إلى مكة فقال لها: إليك عنى، قد خرجت من الجنة بِسَبَبِكِ فتريدين أن أحرم هذا؟! فكان آدم عليه الصلاة والسلام إذا أراد يلقاها ليُلِمَّ بها خرج من الحرم كُلِّه حتى يلقاها بالْحِلِّ، وهذا يخالف ما جاءَ أن جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى إلى آدم وحوَّاء عليهما السلام فقال لهما: إن الله تعالى يقول لكما: ابنيا لى بيتًا، فخطَّ لهما جبريل عليه السلام، فجعل آدم يحفر وحوَّاء تنقل التراب، حتى أجابه الماء، ونودى من تحته: حَسْبُكُ يا آدم.

وفى رواية: حتى إذا بلغ الأرض السابعة فعذقه فيها الملائكة الصخر ما يطيق الصخرة ثلاثون رجلاً. انتهى.

وذكر محمد بن جرير، أنَّ الله أهبط آدم على جبل سَرَنْديب بالهند، وحواء بحدة ـ بالحاء المهملة، وقيل: بالمعجمة ـ فجاء آدم فى طلبها فتعارفا بالمحلِّ الذى قيل له بسبب

(*) من هذه العلامة إلى مثلها ورد فى اللسان. جدد.

(١) فى الأصل: «وجدة علامته».

(٢) فى الأصل: «سادته» والمثبت رواية اللسان.

(٣) فى المطبوع: «وجُدَّة».

ذلك عرفة، فاجتمعا بالمحلِّ الذى قيل له بسبب ذلك جمع، وزَلَفَتْ إليه بالمحلِّ الذى قيل له بسبب ذلك مُزْدلفة(١).

وهذا يدل على أن جمع غير مزدلفة، وهو خلاف المشهور من أن جمع هو مزدلفة، إلا أنْ يقال: كل من المحلين من جملة البقعة، وأطْلِق كلٌّ من الاسمين على جميع تلك البقعة.

وفى «الخصائص الصغرى»: عن رزين أن حواءَ عاشت بعد آدم سنة كاملة. انتهى.

قال فى «الدرر المنظمة فى أخبار مكة المعظمة»: وأول من جعل جُدَّة ساحلاً سيدنا عثمانُ بن عفان رضي الله عنه فى سنة ست وعشرين من الهجرة، وكانت الشُّعَيْبَةُ ساحل مكة.

أقول: ولعله المحل المعروف الآن بأبحر(٢)، ونقل السيد الفاسى فى «شفاء الغرام» أن أول من جعل جدة ساحلاً لمكة المشرفة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، بعد أن استشار الناس(٣).

وذكر ابن جبير فى رحلته أنه رأى بجدة أثر سور مُحْدق بها(٤).

وقال الشيخ جار الله بن فهد: إن بجدة أثر رسوم قديمة تدل على قدم اختطاطها وأنها كانت مدينة كبيرة، وأنها كانت فى زمن الفرس، وأن سلمان الفارسى رضي الله عنه وأهله سكنوها، لأنهم كانوا قومًا تجارًا وهم الذين بنوا سُورها الأول، وقيل: إن الذى بناه يزدجر(٥) والمشهور أنه من بنيان الفرس إجمالاً، وأنهم لما بنوه أتقنوا بناءَه، جعلوا عرض الحائط عشرة أشبار، وجعلوا فيه أربعة أبواب: أحدها باب الدومة فى جهة الشام، وباب المدبغة فى جهة اليمن، وكان عليه حجر أخضر فيه طَلْسمٌ إذا سرق فى البلد شىءٌ وجِدَ بالغداة اسم السارق مكتوبًا فى الحجر، وباب مكة فى جهة القبلة، وباب الفرضة مما يلى البحر(٦).

---

(١) تاريخ الطبرى ج١ ص ١٢١.
(٢) أبحر: كان مرفأ لجدة (ابن جبير: الرحلة ص ٤٨).
(٣) الفاسى: شفاء الغرام ج١ ص١٤١.
(٤) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.
(٥) فى الأصل: «جريزيان» والمثبت رواية جار الله بن فهد فى حسن القرى ص ٢٨.
(٦) حسن القرى ص ٢٨.

وحفـروا حول البلد خندقًـا عظيمًا فـى الوسع والعمق، وكان يدور مـاءُ البحـر حول البلد، وهى يومـئذ شبـه جزيرة فى وسط لُجَّـة البـحر، فلمـا حَصـنوا الفرس البلد غـاية التحـصين وخافوا من ضـيقة المـاء، عمروا ثمـانية وستين صـهريجًا داخل البلد، ومـثلها خارجها، ثم إنَّ الفرس خرجوا منها وبقيت خاوية على عروشها[١].

وكان سبب خروجهم[٢] فيمـا ذكره القاضى صلاح الدين ابن ظهيرة الشـافعى، قاضى جدة حينئذ، فى تاريخه لجـدة، ومنه نقل صاحب «السلاح والعُدَّة فى تاريخ جدة» وهو أنَّ والى مكة الشريف داود بن هاشم الحسنى، وكان يجبى إليه خراجُ جدة، فى كل عام حملٌ من قُضبْـان الحديد أو النحاس، فـفى بعض السنين غلط الخازندار[٣] وبعث الخراج حملاً من الذَّهب، فسكت الشريف المذكور إلى العام القابل، فـبعثوا إليه حملاً من الحديد على حكم العـادة فلم يقبـله وردَّهُ وقال: مـا آخذ منكم إلاَّ حـمْل ذهب مـثل العام المـاضى، فتفقدوا خزائـنهم فوجدوا خازن دارهم غلط فاغتموا لذلك، وجمع كبـيرهم أعيان دولتهم وأكابرها وعـرَّفهم، وأشار عليهم بالخـروج منها، لكونهم يعجـزون عن ذلك فى كل عام، ويعجزون أيضًا عن محاربته على الدوام، وجعل لهم مثلا وهو أنه أحضر لهم ثلاثة طيور، أحدها صـحيحًا سـالمًا، والثانى منتوف الـجناح، والثالث مذبوح، وقال لهم: إن خـرجتم الآن فأنتم مـثل هذا الطائر الحىِّ السليم، لا يُقْدَرُ عليكم، وأرسله فى الجـوِّ، وإن جلستم للعام القـابل تكونوا مثل هذا المنتـوف الجناح، منْ طردَهُ أمسكه، وأرسلـه يجرى برجله، وإن جلستم إلى العام الثالث فأنتم مثل هذا المذبوح، وألقاه بين أيديهم، فاستصوبوا رأيه، وأخذوا ما يعزُّ عليهم ويمكنهم حمله، وسـافروا فى سفنهم بحرًا، وتفرَّقوا فى البلدان يمنًا وشمالاً وسـواكن ودَهْلَك، فلما خلت البلدة من سكانها استـوطنها الأعراب من كل مكان من جميع الجهات[٤].

قلت: وهذه العبارة من أولها لا أصل لها غالبًا بـحيث أن جدة لم يسكنها غير الأعراب قديمًا، ويؤيده ما سيأتى من استعمال الصدِّيق وسيدنا عثمان والرشيد وغيرهم، فلينبه.

---

(١) جار الله بن فهد: رسالة فى فضل جدة ص ٢٠٤.

(٢) فى هامش ط: «أول من ذكر هذه الخرافة هو ابن المجاور الذى وصل إلى جدة سنة ٦٢١هـ.

(٣) الخازندار: المشرف على خزائن السلطان من نقد وأمتعة.

(٤) ابن فرج: السلاح والعدة ص ٣٤.

وهى أول حدود الحـجاز، وأول جزيرة العرب، وسـميت جزيرة لأنه أحاط بهـا أربعة أبحُر: دجلة والفـرات وبحر الحبـشة وبحر فارس، والحـجاز يقابل أرض الحـبشة غربيـها وبينهما عرض البحر فقط، وأوله من مدينة أيلة المعروفة بالعقبة من منازل الحج المصرى، ومنتهاه من شـامه مدينة سدوم[١]، وهى من قـرى قوم لوط، ومن غـربيـه جبل السـراة، ومسيره نحو شهرٍ، وهو قـطعة من جزيرة العرب، التى هى طولاً من أقصى عدن إلى ريف العراق.

قال العـلامة القليـوبىُّ: وأول جزيرة العـرب عرضًا من جـدَّة إلى ساحل البـحر، إلى أطراف الشـام، وطولاً من أقصى عـدن إلى ريف العـراق، ومن المـدن التى بين الحجـاز واليمن: اليمامة وتهامة[٢] وهجر، وهو من مدنه الطائفة به والينبع وبدر.

وجُـدَّة - بضم الجيم - وأصلهـا اسم لما قـرب من النهـر أو الطريق الممـهد. انتـهى كلامه.

وهذا مناقض لما مرَّ من أنَّ الشُّعَيْـبَة كانت ساحل مكة، ففى [السيرة] الحلبية وغيرها أن قريشًا حين بنواْ الكعـبة المشرفة فى زمن النبى ﷺ، وكان البحـر قد رمى بسفينة إلى ساحـل جدة - أى الذى به جـدة الآن - وكان سـاحل مكة الذى قبل ذلك يرمى به السـفن يقال له الشُّعَـيْبَة - بضم الشين المعـجمة فلا يخالف قـول غير واحد - فلما كـانت السفينة بالشُّعَيْبَة ساحل مكة انكسرت، وقيل: كانت تلك السفينة لقيصر ملك الروم، يحمل له فيها الرخام والخشب والحديد، فلما بلغت مرساها من جـدة وقيل: من الشعيبة بعث الله عليها ريحًا فحطمـها، فخرج الوليد بن المـغيرة فى نفر من قريش إلى السـفينة فابتاعوا خشـبها - القصة انتهى.

وفى «معالـم التنزيل» فى (سوزة الفتح) بعد أن سـاق قصة الفتح يوم فـتح مكة: قال عروة بن الزبيـر: خرج صفوان بن أُميـة يريد جدة ليركب منهـا إلى اليمن، فقال عـمير بن وهب الجمحىُّ: يا نبىَّ الله، إن صفـوان بن أُمية سيد قومه، وقـد خرج هاربًا منك ليقذف

---

(١) فى الأصل: «سدم» والمثبت رواية البكرى فى المسالك والممالك ج١ ص ١١١، ولديه: «فأرسل الله لوطا إلى أهل سَدوم».

(٢) تهامة ليست مدينة بل منطقة واسعة.

نفسه في البحر فأَمَّنَهُ ﷺ وقال: هو آمنٌ، قال: يا رسول الله أعطني شيئًا يعرف به أمانك، فأعطاه رسول الله ﷺ عمامته التي دخل فيها مكة، فخرج بها عمير، حتى أدركه بجدة، وهو يريد أن يركب البحر، فقال: يا صفوان فداك أبي وأمي، أُذَكِّرُكَ اللهَ في نفسك أن تهلكها، فهذا أمان رسول الله ﷺ قد جئتك به، فقال: ويلك اعزب عني فلا تكلمني، قال، أي صفوان: فداك أبي وأمي، أفضل الناس، وأَبَرُّ الناس، وأحلم الناس، وخير الناس، ابنُ عمك، عِزُّهُ عِزُّكَ، وشرفه شرفك، وملكه ملكك، قال: إني أخافه على نفسي، قال: هو أحلم من ذلك وأكرم، قال: فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله ﷺ، فقال صفوان: إن هذا يزعم أنك أمنتني قال: صدق ـ الحديث انتهى.

فهذا الخبر والذي قبله من القصة المتقدم ذكرهما يُشْعِران بأن جدة هي إِسْكلَةُ مكة من أيام النبي ﷺ، وفيه نظر، إلاَّ أن يُقال: كانت إِسْكِلَة لمكة في بعض الأحوال، والشعيبة هي إِسْكِلَتُها دائمًا، ثم إن سيدنا عثمان بن عفان ﷺ استصوبها ونزل بها واغتسل في بحرها، وقال: إنه مبارك كما في «الدرر المنظمة» بعد أن استشار الناس وجعلها خالصة لمكة، والله تعالى أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، والحمد لله رب العالمين.

الفصل الأول

فى فضائلها والمرابطة والصلاة فيها والمجاورة

فعن شيخ الإسلام ابن حجر العسقلانى فى كتابه: «لسان الميزان» بسنده عن ابن عمر ﷺ مرفوعًا: إذا كان رأس السبعين والمائة فالرباط بجدة من أفضل ما يكون من الرباط.

وروى أيضًا بسنده عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة».

وفيه أيضًا عن على بن أبى طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أربعة من أبواب الجنة فى الدنيا: الإسكندرية وعسقلان وقزوين وعبّادان، وفضل جدة على هؤلاء كفضل بيت الله على سائر البيوت»[(١)].

وفى «شفاء الغرام» للسيد الفاسى، رحمه الله، بسنده عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباط وجدة جهاد»[(٢)].

وفيه أيضًا بسند الفاكهى إلى ابن جريج عن أبيه عن جده: «إنى لأرجو أن يكون فضل مرابط جدة على سائر المرابطين كفضل مكة»[(٣)].

---

(١) فى مثل هذه الأحاديث يقول الشوكانى فى الأحاديث الموضوعة ص ٤٣٦: «وقد توسع المؤرخون فى ذكر الأحاديث الباطلة فى فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم، فإنهم يتساهلون فى ذلك غاية التساهل، ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه» ثم أورد الشوكانى حديث: «يأتى على الناس زمان يكون أفضل الرباط رباط جدة» وذكر أن ابن عدى رواه عن ابن عمر مرفوعًا، وفى إسناده: محمد ابن عبد الرحمن البيلمانى، وليس بشىء، حدّث عن أبيه بمائتى حديث موضوعة، كما أورد كذلك حديث: «أربعة أبواب من أبواب الجنة... الحديث، وذكر أن ابن حبان رواه عن على مرفوعا، وفى إسناده عبد الملك بن هارون، كذاب، وانظر كذلك لسان الميزان ج ٤ ص ٧١.

(٢) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤٠ والحديث أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده، وذكر محققه أن إسناده ضعيف.

(٣) أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.

وبسنده أيضًا عن ضوء بن فج قال: كُنتُ جالسًا مع عبَّاد بن كثير فى المسجد الحرام فقلت: الحمد لله الذى جعلنا فى أفضل المجالس وأشرفها.

فقال: وأَيْنَ أنت من جدة، الصلاة فيها بعشرة ألف ألف صلاة، والدرهم الواحد بمائة ألف، وأعمال البِرِّ بقدر ذلك، يغفر للناظر فيها مَدَّ بصره مما يلى البحر[١].

وعن فَرْقَد السَّبَخى[٢] أنه قال: يكون فى آخر الزمان بجدة شهداء ليس على وجه الأرض شهداء أفضل منهم.

وبسنده أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما إلى عبد الله بن سعيد أنَّ فرقدًا السبخيَّ قال: إنى رجل اقرأ هذه الكتب، وإنى لأجد فيها فيما أنزل الله من كتبه: جُدَّةُ أو جُدَيْدَةَ ـ بالجيم ـ يكون فيها شهداء، لا شُهداء على وجه الأرض أفضل منهم[٣].

وقال الإمام حجة الإسلام أبو حامد الغزالىُّ فى «الإحياء» فى (باب أسرار الحج) إن بعض الأولياء كُوشِف فرأى جميع الثغور تسجد لِعبَّادان، وعبَّادان ساجدة لجُدّة[٤].

قال الفاضل العلامة السيد مسعود بن حسن القناوىُّ فى «شرح لامية ابن الوردىِّ» ما نصه: عبادان بتشديد الباء الموحدة، وهى من العراق، مدينة عامرة على شطِّ البحر، فى الجهة الغربية من الدّجلة، وهى من مدائن بغداد. انتهى.

وأخرج الترمذى عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ إن الإيمان لَيَأرز[٥] إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جُحْرِها[٦].

قال فى «القاموس»: الحجاز مكة والمدينة والطايف ومخاليفها، أى طرقها وقراها وبُغَارُها منها، والبُغار هو الثغر بتشديد المثلثةأى الباب.

---

(١) الفاكهى ج ٣ ص ٥٣.

(٢) السبخى: ذكره الذهبى فى الميزان ج ٣ ص ٣٤٥ بقوله: قال أبو حاتم: ليس بقوى، وقال البخارى: فى حديثه مناكير، وقال النسائى: ليس بثقة، مات سنة ١٣١هـ.

(٣) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٥.

(٤) إحياء علوم الدين ج ١ ص ٢٤٢.

(٥) أى يجتمع وينضم كما تأرز الحية إلى جحرها.

(٦) اخرجه الترمذى برقم ٢٦٢٩ كتاب الإيمان: باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا.

وعنه ﷺ أنه قال: «إن الشيطان قد يئس من أن يعبده المصلُّون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم»(١) رواه الهروى فى شرحه على «المشكاة».

وفى الخبر عنه ﷺ : «لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب»(٢) قال الفاضل مولانا السيد فضل باعَلَوِى مَولَى الدُّوَيْلَة فى كتابه «عدة الأُمراء والحكام» ما نصه: ووجه الاستدلال أنه حكم بإخراجهم من أرضهم، ونقلها إلى المسلمين، لتكون كلمة الله هى العليا ويكون الدين لله. انتهى.

وثبت فى الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يقول: «لئن عشت أو بقيتُ لأُخْرِجَنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا يبقى فيها إلا مسلم»(٣) قال أبو جعفر ابن جرير الطبرى: فى هذا الخبر من الفقه أنه عليه الصلاة والسلام سنَّ لأُمَّته المؤمنين إخراج من دان دينًا غير دِينه، الذى بعثه الله به، من كل بلدة من بلاد الإسلام إذا لم يكن إليهم بالمسلمين ضرورة حاجة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لايساكنكم اليهود ولا النصارى فى أمصاركم.

وفى الخبر عنه ﷺ «أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب» قال الفاضل السيد فضل باعلوى المذكور آنفا فى «عُدَّة الأمراء»: إن الواجب على إمام المسلمين إخراجهم من كل مِصْر كان الغالب على أهله الإسلام، إذا لم يكن بالمسلمين إليهم ضرورة حاجة، ولا كانت من بلاد أهلِ الذِّمَّةِ التى صُولحوا على إقرارهم فيها، إلحاقًا لحكمه بحكم جزيرة العرب، قال ابن جرير: وقد روى عن رسول الله ﷺ بنحو الذى قال ابن عباس فى ذلك، وذلك ما حدثنا الحسن بن يزيد الخطابى أنبأنا محمد بن سليمان الحرانى حدثنا يعقوب بن جعدة عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد ابن الحَنَفِيَّة رضي الله عنه عن أبيه على ابن أبى طالب رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: «لا يترك بأرضٍ دينانِ، دين مع دين الإسلام» وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبى ﷺ : «لا يصلح ملتان فى أرض».

---

(١) اخرجه مسلم برقم ٢٨١٢ كتاب صفات المنافقين: باب تحريش الشيطان «ولكن فى التحريش بينهم» أى: ولكنه يسعى فى التحريش بينهم بالخصومات والشحناء والحروب والفتن وغيرها.

(٢) اخرجه صاحب الكنز برقم ٣٥١٤٨.

(٣) اخرجه مسلم برقم ١٧٦٧ كتاب الجهاد والسير، باب إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

وفى الصحيح أنه ليس من بلد إلا سَيَطَؤُهَا الدجال إلا مكة والمدينة وبيت المقدس، ليس نَقْبٌ من نقابها إلا وعليه الملائكة صَافِّينَ.

وفى كتاب «العقد الثمين» النقب بفتح النون وضمها وسكون القاف: الباب، وقيل: الطريق، وجمعه نقاب، ورأيت بخط العلامة شيخنا أبى المكارم الشيخ محمد سعيد بشّارة الخليدى المكى حفظه الله: ولا شك أن جدة من أعظم طرق مكة وأبوابها، فتكون حينئذ ممنوعة أيضًا من تمكن الدجّال منها، أى من المكث فيها، هذا إن صدق عليها اسم البلد، وهو الأصح، وأما إن صدق عليها اسم الباب (. . .)[١].

وقال فى «إهداء اللطائف من أخبار الطائف» أن معاوية ﷺ قال: سعيد مولاىَ أنعم الناس عيشًا، يقيظ بالطائف ويشتى بمكة ويُربع بجدة. انتهى[٢].

وأما فضل المرابطة بها وبغيرها أيضًا من الثغور قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ (سورة آل عمران: ٢٠٠) فالرباط أحد شعب الإيمان، وموجبات الغفران، وقد ورد فى فضله أشياء لم تكن فى القربات، منها ما روى عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس على البحر احتسابًا ونيَّة احتياط للمسلمين كتب الله تعالى له بكل نظرة حسنة» وفى بعض النسخ «بكل قطرة حسنة»[٣].

وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «الناظر فى البحر فى سبيل الله تعالى يكون له مد بصره نور يستضىء به كما بين صنعاءَ والجابية، وعنه أيضًا أن رباط يوم وليلة خير من الدنيا وما فيها.

وعن سلمان الفارسى قال: قال رسول الله ﷺ: «إن رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، ورباط شهر خير من صيام دهر»[٤]. انتهى.

فكل خير ينقطع إلا عمل المرابط فإنه يكون له ثواب رباطه إلى يوم القيامة، كما وردت به الآثار.

---

(١) كلمات غير واضحة فى الأصل.
(٢) العجيمى: إهداء اللطائف من أخبار الطائف ص ٣٧.
(٣) أورده صاحب الكنز برقم ١٠٧٦٧ وعزاه للطبرانى فى الكبير.
(٤) أخرجه مسلم برقم ١٩١٣ كتاب الإمارة: باب فضل الرباط فى سبيل الله.

ولله دَرُّ الفاضل الورع المرابط الشيخ العجلى حيث قال:

فـأنا الفتـى العجلىُّ جُـدَّةٌ مـسكنى
وخـــزانة الحـــرم التى لا تجـــهل
وَبِهَـا الـرباط مع الجـهـاد وإنمـا
لَبِـهَـا الوقـيـعـة لا مـحـالة تنزل
من آل حــــامٍ فى أواخـــر دهـرنا
وشـهـيـدها بشـــهـيـد بَدْرٍ يُعْـدَلُ
شـهـداؤنـا قـد فُـضِّلُوا بســعـادة
وبهـا السـرور لمن يمـوت ويقـتل

وروى الفاكهى عن عـبد الله بن عمرو بن العاص قـال: قال رسول الله ﷺ: «مكة رباطٌ وجدة جهاد»[(١)] وعن ابن جُـرَيج قال: سمـعت عطاء ﷺ يقـول: إنما جـدة خزانة مكة، وإنما يؤتى به إلى مكة لا يخرج به منها[(٢)]، وقال ابنُ جُريج: فضل رِبَاط جدة على سائر المرابط كفضل مكة على سائر البلدان[(٣)]. انتهى.

والحاصل أن فضائلها كلها لا تُحصى، منها: أن الله شرف طريقها إلى مكة أيضًا لكون بعضه موطئًا لأقدامه ﷺ الشريفتين وأصـحابه، حيث كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فى طريقها، وإليه الإشـارة فى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ (سورة الفتح: ١٨) وهى بطريق جدة، عام الحُدَيْبِيَة، وحـديبية هو المحل المعروف الآن بالشُّمَيْسِىِّ، كما ذكره بعض المفسرين.

قال فى «القاموس» الحُدَيْبِـيَةِ كدُوَيْهِيَة ـ وقد تشدَّد ـ بئر قـرب مكة حَرَسَها الله تعالى، أو شجرة هناك[(٤)].

---

(١) أورده الفاكهى فى أخبار مكة ج ٣ ص ٥٢ بإسناده، وذكر محققه أن إسناده ضعيف.
(٢) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.
(٣) الفاكهى: أخبار مكة ج ٣ ص ٥٣.
(٤) القاموس: الحُدَيْبِيَة.

وعن ابن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: بينما نحن قائلون زمن الحديبية نادى منادى رسول الله ﷺ : أيُّها الناس البيعة، نـزل روح القدس، قال: فثرنا إلى رسول الله ﷺ وهو تحت شجرة سَمُرَة فبايعناه.

وفى «مسلم» عن طارق بن عبد الرحمن قال: انطلقت حاجًا فمررت بقوم يصلون فقلت: ما هذا المسجد؟ قالوا: هذه الشجرة حيث بايع رسول الله ﷺ بيعة الرضوان، فأتيت ابنَ المسيَّب فأخبرته، فقال سعيد: كان أبى ممن بايع تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فعميت علينا فلم نقدر عليها . . . الحديث(١).

وفى رواية عن ابن المسيب عن أبيه قال: لقد رأيت الشجرة ثم أتيتها بعد عام فلم أعرفها(٢).

وقال نافع: كان الناس يأتون تلك الشجرة فيصلون عندها، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأوعدهم فيها، وأمر بها فقطعت.

وروى أن عمر رضي الله عنه مَرَّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: هاهنا وبعضهم يقول: هاهنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا فقد ذهبت الشجرة.

وللبخارى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: رجعنا من العام المقبل فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التى بايعنا تحتها، وكانت رحمة من الله. انتهى.

ومنها أنَّ الله تعالى شرفها بِتَنَزُّلاَتٍ إلهِيَّةٍ، وخصوصيات سَنِيَّة دلَّ على ذلك ورود وفد الله تعالى من جهتها، فترى كل ولى لله تعالى وحبر وتقى وصالح وزكى إلا وهو يمرُّ عليها، ويدخل من (إسْكِلَتِها) كما هو الغالب، لأن الحجاج كلهم أضياف الله وتعالى وفى كنفه وأمنِه، فهى مَمَرُّ الأبرار، ومَقَرُّ التجار، ضاعف الله فيها البركات، وأظهر الخيرات.

وأما بحرها وهو المسمى ببحر القلزم قال ابن الوردى فى «الخريدة»: خليج القلزم ومبدأه من باب المندب حيث ينتهى البحر الهندىُّ فيمر فى جهة الشمال مغربًا قليلاً فيتصل

(١) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٩ كتاب الإمارة: باب استحباب مبايعة الإمام الجيش.
(٢) أخرجه مسلم برقم ١٨٥٩ كتاب الإمارة.

بغربى اليمن، ويمر بتهامة واليمن إلى مدين وأيلة وفران، وينتهى إلى مدينة القلزم فيمر بشرقى بلاد الصعيد إلى عيذاب إلى جزيرة سواكن إلى زالع من بلاد البُجَة، إلى بلاد الحبشة ويتصل بالبحر الهندى، وطول هذا البحر ألف وأربعمائة ميل.

وأما من ساحل جدَّة إلى ساحل السويس، وهذا البحر يسمى البحر الأحمر، وأما أرض القلزم المسمَّى باسمها هذا، وهى بين مصر والشام وهو بحر فى ذاته، وفيه جبال فوق الماء وفيه قروش - أى سمك كبير - وحيوانات مُضرة ظاهرة ومختفية، كانت القلزم مدينتين عظيمتين فتهدَّمتا من تسلط العرب على أهلها، وشربهما من عين سدير[1] وهى وسط الرمل وماؤه زعاق، وبين القلزم - وهو منتهى بحر فارس الآخذ من المحيط الشرقى من الصين - وبين البحر الشامى مسافة أربع مراحل تسمى بأرض التيه، وهو تيه بنى إسرائيل، وهى أرض واسعة ليس بها وهْدَةٌ ولا رابية ولا قلعة، ووسعها خمسة أيام فى خمسة، ومن مدنه المشهورة عقبة أَيْلَةَ وهى قرية صغيرة على جبل عال، صعب المرتَقَى يكون ارتفاعه والانحدار منه يومًا كاملاً، وهى طرق لا يمكن أن يجوز فيها إلا واحد واحد على جانبها أودية بعيدة الْمَهْوَى[2]. انتهى.

وبحر القلزم هذا هو الذى أغرق الله فيه فرعون وقومه، ونَجَّا الله موسى وبنى إسرائيل، وحدود هذا البحر إذا قطعت من لسان القلزم إلى حد الصين فى حد مستقيم كان مقدار تلك المسافة نحو مائتى مرحلة، وكذلك إذا شئت أن تقطع من القلزم إلى أقصى حجر بالمغرب على خط مستقيم كان نحو مائة وثمانين مرحلة، وإذا قطعت من القلزم إلى حدّ العراق إلى نهر بلخ شهرين.

والحاصل أن هذا البحر أهون البحار وأكثرها بركة وخيرًا، قال فى «الدرر المنظمة فى أخبار مكة المعظمة» وفى سنة ست وعشرين من الهجرة اعتمر من المدينة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ فأتى مكة ليلاً فطاف وسعى - إلى أن قال - وحَوَّلَ ساحل مكة القديم وهو الشُّعَيْبَة إلى ساحلها الآن المعروف بجدة لقربها من مكة، وخرج إليها واغتسل فى بحرها وقال: إنه مبارك، ثم خرج من جدة على طريق عسفان إلى المدينة منصرفًا.

(١) فى الأصل: «سرير» والمثبت رواية ابن الوردى فى الخريدة الذى ينقل عنه المؤلف.

(٢) ابن الوردى: الخريدة ص ٤٧.

وقال بعضهم: إن جـدة هى قديمة على حالها من قبل النبـوة ساحل مكة، واحتج بما مَرَّ سابقًـا من أن لها مسجدان ينسبـان إلى عمر بن الخطاب، وبما مَرَّ سابقًـا أيضًا من كلام الشيخ جار الله ابن فهد، ومن خروج صفـوان بن أمية إلى جدة يريد ينزل منها إلى اليمن، كما فى السِّير، وما ورد فيها من الأخبار، إذْ لو لم تكن ساحلاً لم يَرِدْ فيها ما مَرَّ، فليحرر، ويمكن الجمـع بين القولين بأنها كـانت ساحلا إلى أول خـلافة سـيدنا عثـمان ثم تركت، واستعملت الشُّعَيْبَة ثم نزل سيدنا عثمان ليراها فردها ساحلا، ويؤيده ذكر عمالها كما يأتى.

ثم اعلم أن البحر الذى اغتسل فيه سيدنا عـثمان بن عفان ﷺ هو المعروف الآن فيها ببحر الأربعين، وهو بناحية من ساحلها، ولم يزل أهل جدة إلى الآن يغسلون مرضاهم فيها تبركًا بمائه كما هو المعهود.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل الثانى

فى مآثرها وما احتوت عليه من سكانها

فأقول وبالله التوفيق:

قال التقى الفاسى فى تاريخه[١] : إن سيدنا أبا بكر الصديق ﵁ استعمل على جُدّة الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان أسلم عند إسلام أبيه نوفل، وكانت تحته درة بنت أبى لهب ابن عبد المطلب، وهو أول أمير استعمل على جدة فلهذا لم يشهد حُنَيْنًا، وخالف فى ذلك الذهبى وقال: إنما استعمل أبو بكر وعمر وعثمان الحارث بن نوفل على مكة، وتوفى آخر خلافة عثمان، وهذا القول ضعيف والمعتمد الأول، لأن سيدنا أبا بكر الصديق إنما استعمل عتاب بن أسيد ﵁ على مكة بعد استعمال النبى ﷺ له عليها، وتوفى عتَّابُ فى نَعْى أبى بكر بعد موته، وهذا ما اعتمده التقى الفاسى وغيره من أن الحارث بن نوفل استعمله النبى ﷺ على بعض صدقات مكة وبعض أعمالها، ثم استعمله أبو بكر ﵁ على جدة، وتوفى فى آخر خلافة عثمان.

وأما فقهاؤها فهم الظهيرة، وأول من سكنها منهم الشيخ على بن الصديق الجحنون، المقبور بجدة، وكان من أهل العلم والصلاح.

وبنو المذكور الأشراف من بنى القديمى، أول من سكنها منها السيد سليمان بن المذكور، وهو من بيت ولاية وكرامة.

وبيت المساوى أول من سكنها منهم الشيخ أحمد بن الصديق المقبور بجدة، والفقيه من أهل اليمن.

وخلائق لا يحصون كما هو مذكور فى التاريخ المتقدم ذكره.

---

(١) العقد الثمين ج ٤ ص ٢٩.

وبها من المآثر القديمة قبر السيدة الكريمة حَوَّاء، أُم البَشر، وهو بالجانب الشرقى على يمين الداخل إلى جدة[١] من باب مكة، كما اعتمده غير واحد من المحققين، ويؤيده ما ذكره صاحب «السيرة الحلبية» وغيره من أنَّ نزول السيدة حواء كان بجدة، فلا خلاف فى ذلك بين أهل التواريخ، وأما قبرها فقد اختلف فيه، والصحيح أنه القبر الشهير بجدة كما أُعْلِم بذلك بعض أهل الكشف[٢]، وعلى سُرتها قبة جليلة[٣]، وفى الحديث: «من زار والديه» وفى رواية: «أبويه فى كل جمعة كتب باراً» وسيأتى الكلام عليه فى رحلة العلامة العيَّاشى رحمه الله تعالى.

قال العارف بالله سيدى محى الدين ابن عربى[٤]: وقد كنت مرة اعتمرت عن والدى آدم عليه السلام، ورأيت ذلك من صلة الرحم الغافل عنه كثيرون من الناس، فرأيت الملائكة يترحبون بى وهم أكثر فرحًا بهذا الخير العظيم، ورأيت آدم عليه السلام أكثر فرحا بهذا الخير، أو كما قال من هذا المعنى فليراجع، فزيارة قبرها يكون من جملة البر، وكذا أعمال الخير، قال بعض الافاضل:

وفى جدة يمسى السرور مجددا
للطير فى أفنانها بالهنا صَدْحُ
ويعذب من عَيْذَاب أرياق ثغرهِ
وشام بها من لذة الشرب ما يصح
وأعداؤنا أعداؤكم غير أنهم
ظلام محاه من صداقته الصبح

وقال الفاضل العلامة الشيخ عبد الله العياشى، فى رحلته المشهورة بعد أن ذكر مجيئه من المدينة إلى مكة المشرفة، وقضى مناسكه، قال ما نصه: ومنها مدينة جدة، ولما كان

(١) أصبح الموضع المذكور وسط المدينة على يمين شارع المطار للمتجه إليه (من حواشى المطبوع).
(٢) لا يصح الاعتماد على هذا الرأى القائم على خرافة (من حواشى المطبوع).
(٣) أزيلت القبب من كل القبور، عملا بأمر رسول الله ﷺ لعلى رضي الله عنه «لا تدع قبرًا مشرفا إلا سويته» (من حواشى المطبوع).
(٤) رأى علماء السنة فى ابن عربى أنه رجل ضال مضل (من حواشى المطبوع).

لى رغبة قـوية فى معرفة أرض الحجاز ورؤية مـا بها من البلاد غير الحـرمين، عزمت على الوصول إلى مدينتها لزيارتها، وزيارة ما بها من المـساجد والمشاهد، كالمحل الذى يقال: إن فيه قبر أمِّنا حواء.

وممن جزم بأن قبر أم البشر حواء بجدة ابن خلكان فى ترجمة ابن قلاقس الشاعر(١)، وذكره أيضًا فى ترجمة أخرى.

ولأنها فى نفسها من أعظم البقاع فقد ورد فى فـضلها وفضل المقام بها، والرباط فيها عدة آثار نقلها الأَخْبَارِيّون.

فخرجت إلى زيارتها بعد صلاة العصر من يـوم الجمعة العاشر من شوال مع طائفة من أصحابنا المجاورين، واكـترى لى شيخنا أبو مهدى حماراً لركـوبى، ولم أرَ أسرع مشيا من حمير الحجاز ولا أوْطأ مركبا ولا أقل تعبا مع السرعة المفرطة فى المشى.

فقد كنت أنظر وأنا راكـبها إلى أطرافى هل تحرك منهـا شىء مع الإسراع فى المشى، فلا تكاد تتبين لى حركة شىء منها، مع أن مركوبى ليس من أجاودها، فلقد أخبرت أنه كان حمار عند رجل من أهل مكة يصلى المغرب بجدة فيركب عليه ويصلى الصبح بمكة، وهى مسافة القصر تحقيقا.

أقول: وهذا هو الغالب فى وقـتنا هذا على أنه يركبون نحو الـعشرين راكبا بـعد صلاة المغـرب فيصلون الصـبح بجدة، وقد ركـبت مرة فى الساعـة الثالثة مـن الليل سنة إحدى وثمانين(٢) من مكة ودخلت جدة عند شروق الشمس صبيحة تلك الليلة. انتهى.

ثم قال: وهم يتغالون فى ثمن مـا هذه صفته منها فيبلغ الحمـار مائة دينار ذهبًا، ولقد رأيت حماراً عند فـقيه الحنفيـة الشيخ الزنجبيلى رافـقنا عليه من المدينة إلى مكة تحـتقره العين، فأخبرت أنه اشتراه بقريب من ذلك الثمن.

أقول: وفى وقتنا تبـاع هذه الحميـر بمكة تجىء من الشرق من ناحـية (الحسـا) تسمى الشروق والحساوية وكلها بيض غـالبها من مائة ريال فرانسة(٣) وثمانين ريالا إلى ستين إلى

---

(١) ابن خلكان ج ٥ ص ٣٨٩. (٢) أى (١٣٨٢هـ).

(٣) الريال الفرانسة هو الريال النمسوى الذى فوقه صورة مارى تريزا (من حواشى المطبوع).

خمسين إلى أربعين لكنها غشيمة فى المشى فتتخرج فى مكة وتدرج وتسير أحسن سير، حتى أن عند خروج أهل الركوب من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة لزيارة رسول الله ﷺ على الهجن يخرج أهل هذه الحمير بحميرهم نحو الستين والمائة حمار من مكة إلى المدينة المنورة يسبقون الهجن لا يتأخر منهم أحد. انتهى.

ثم قال: ولما خرجنا من مكة من الثنيَّة السفلى إلى مناخ الحجاج أسفل ذى طوى، عدلنا ذات اليسار قليلا، وسلكنا فى شعاب هناك، وعقاب ليست بالوعرة وبين مكة وجدة ثمانى قهاوى.

أقول: وهى الآن اثنتا عشرة قهوة ينزل المارون بها فى كل قهوة فيستريحون يشربون القهوة أو الماء ويشترون علفًا للدواب، أو طعامًا لهم.

فأولها: قهوة فى مقابلة التنعيم فيما أظن فى شعب مررنا عليها قرب المغرب.

أقول: وهى المعروفة الآن بقهوة البستان ثم قهوة أم الدود ثم قهوة المقتلة ثم قهوة سالم. انتهى.

والثانية: فى منفسح الوادى الذى يُخرج منه إلى رمال الحديبية.

والثالثة: عند بئر الحديبية عند منتهى الحرم، ومنها يُحْرِم الناس بالعمرة من شاء منهم، وحول البئر مسجد معطل قد انهدم أكثره، وقد طلبنَا من أهل القهوة حبلا ودلوًا حتى استقينا منها، وشربنا من مائها للبركة، لما ورد فى الصحيح أن النبى ﷺ بارك عليها حتى غزر ماؤها، أو تَفَل فيها.

والرابعة: فى قرية تسمى حَدَّة قريبة من شفير الوادى الكبير الذى يأتى أصله من مَرِّ الظهران، وفيه أثل وعشب كثير ومزارع إذا جاءَ السيل.

ثم الخامسة: حول مزرعة كبيرة هناك يجلب منها بطيخ كثير إلى مكة مشهور عندهم بالجودة تسمى بحرة.

والسادسة: عندما يريد الذاهب الصعود إلى جبال يمر الطريق فى وسطها.

والسابعة: عند منقطع الجبال حيث ينحدر الذاهب إلى مكة.

والثامنة: التى عند جدة بالمحل المعروف بالرغامة.

وقد بلغنا إليها بعدما ارتفعت الشمس جدًا واتسع النهار واشتد الحر، وهى مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين، فى كلا طرفيها حصار متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكر لا تفارقه، وقد رأيت فى الحصار الغربى منها ما يستغرب وصفه من المدافع طولا وكبرا، ورأيت فيها مدفعًا له خمسة أفواه بصنعة غريبة.

وفى مرساها سفن كثيرة كبار وصغار وغالبها معمول بالشريط، صنعة عجيبة ليس فيها مسمار، وهى مع ذلك كبيرة المقدار متباينة الأقطار، واسعة الأنحاءِ تحمل أضعاف ما تحمل غيرها من السفن.

وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة مفتحة إلى البحر، وإلى ناحية البلد، فيها قهاوى ومجالس حسنة يبالغ أصحابها فى كنسها وتنظيفها ورَشِّها بالماءِ، وفيها جلوس غالب أهل البلد، وقد اتخذوا فيها أسِرَّة كثيرة منسوجة بشريط الدَّوْم، بصنعة محكمة.

وكان نزولنا بوكالة هناك قريبة من المسجد، فإذا كان الليل خرجنا إلى جانب البحر، واكترينا لكل واحد سريرًا يرقد عليه بدرهم إلى الصباح.

ومسجدها الكبير من أحفل المساجد وهو المعروف بالشافعى، فيه أعمدة من الساج، مخروطة على هيئة أعمدة الرخام المخروط، طيب عودها، يحسبها من لم يتأملها رخاما أحمر، أخبرنى شيخنا أبو مهدى أنه يقال: إن أعمدة ذلك المسجد جلبت فى صدر الإسلام من كنيسة فى أرض الحبشة عندما افتتحها المسلمون.

وزرنا المحل الذى يقال: إن فيها قبر أُمنا حواء، وقد ذرعه بعض أصحابنا فكان قريبا من ثلاثمائة ذراع، والله أعلم بصحته.

وكان فيها مفتيان أحدهما شافعى المذهب، وهو الشيخ عبد القادر، وهو رجل حسن الأخلاق، ولقيت أيضًا مفتى الحنفية الشيخ مصطفى، وهو رجل له مشاركة فى العلوم سالك على طريقة السادة النقشبندية، أدرك الشيخ تاج الدين ابن عثمان النقشبندى، وله خبرة بكلام القوم. انتهى. من الرحلة المذكورة.

ومنهـا قوله: وقد شـاهدنا فى هذه الخطرة ـ يعنى فى السـفر من جـدة إلى مكة ـ من العافية التى بسطها الله فى الطرق والقرى والأمان الـتام ما قضينا منه العجب، فمن ذلك أنَّا لقينا عِيْرًا فى ليل مظلم، تحمل أحمالا من الْبَـزِّ الهندىِّ والقماش الرفيع، نحو من عشرين جملا، وطلبنا من أصحابها من نسأله عن خبـر البلد فلم نَجِدْ معها أحدًا، وذهبنا نحوًا من ميل، فوجدنا أصحـابها فى قهوة مستريحين، وأخبـرونا أنها كذلك حتى لو ذهبت إلى مكة لم يعـترضـها أحـد، وأخبـرونا بعجـائب من مثل ذلك وقـعت فى أيام الأميـر زيد ووالده محـسن، فمن ذلك أنهم زعمـوا أن رجلا جاءَ إلى السلطان مـحسن فقـال له: إنى وجدت بالفلاة الفلانية حملا من البز، فقال له: ومن أخـبرك أنه من الْبَزِّ؟! فقال: مسسته برجلى، فأمر بقـطع رجله، وقال له: لم مسسـته برجلك؟ إلى غير ذلك من أمـثال هذه الحكايات، ولا نعلم صحيحها من سقيمها.

ومن لطيف ما شاهدناه من أمـان هذه الديار وعافيتها أن المسـافرين من مكة إلى جدة ومن جدة إلى مكة يكـترون الحميـر للركوب، ولا يذهب صـاحب الدابة معهـا، فإذا بلغ المكترى إلى المحلِّ الذى ذهب إليه أرسل الحمار ولا علـيه فيه، فلا يأخذه أحد إلاَّ ربه، إن كان فى ذلك البلد أو نائبه، ولكل واحد من أصـحاب الدواب نائب فى غير البلد الذى هو فيه.

وقد رافقنا من مكة إلى جـدة ذهابًا وإيابًا صاحبنا الحاج على العقـاب التونسى، وكان من التجار المجاورين بمكة المشرفـة فى هذه السنة فكان معه جملة من أصحابه فلم يتركنا ننفق فى هذه السفرة ولا درهمًا واحـدًا، فكان الإنفاق من عنده فى كل ما ينوب من منازل الاستراحة وكراء المنازل وما ينوب فى أيام الإقامة، فجزاه الله خيرًا. انتهى.

الخاتمة

فى بعض حكايات لطيفة وغيرها، وقعت فى عرصاتها وفى بناء سورها

قال العلامة الفاسى فى تاريخه[1]، وفى «الدرر المنظمة»: إن فى سنة ثلاث وثمانين ومائة من الهجرة جاءت الحبشة إلى جدة جنودًا وجرودا فى عَدد وعُدَد، فوقعوا بأهل جدة فخرج الناس من مكة إلى جدة غزاة فى البحر، وأميرهم عبد الله بن إبراهيم المخزومى، عامل الرشيد العباسى، فقاتلوهم وصرفهم الله، وذلك لما روى عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «حجة لمن لم يحج وغزوة لمن قد حج خير من عشر حجج، وغزوة فى البحر خير من عشر فى البر، ومن جاز البحر فكأنما جاز الأودية كلها، والمائد فيه كالمتشحط فى دمه»[2] أخرجه أبو ذر فى منسكه.

قوله: والمائد هو الذى يدور رأسه من ريح البحر واضطراب السفينة بالأمواج من ماد يميد، إذا مال وتحرك، ويقال: تشحط المقتول بدمه أى اضطرب فيه. انتهى.

وفى سنة إحدى وخمسين ومائتين نُهبت جدة وأهلها، وقتل بها قتلاً ذريعًا، والفاعل ذلك كله إسماعيل بن يوسف بن إبراهيم بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط، بعد أن فعل أفعالاً قبيحة بمكة، فهرب عامل مكة وجدة، وهو جعفر ابن الفضل بن عيسى العباسى فنهب الكعبة، وأخذ الذهب الذى فيها وكسوة الكعبة، وأخذ من الناس مائتى ألف دينار، ثم رحل بعد مقامه فى مكة سبعة وخمسين يومًا إلى جدة، فحبس عن الناس الطعام وأخذ أموال التجار، وأصحاب المراكب بعد أن وافت المراكب من القلزم، ثم رجع إلى مكة وطلع إلى عرفة يوم الموقف، وقتل من الحجاج

---

(١) شفاء الغرام ج ١ ص ١٤١.

(٢) أخرجه صاحب الكنز برقم ١٠٥٩٧ وعزاه للطبرانى فى الكبير.

وغيرهم نحو ألف ومائة، وهرب الناس ولم يقفوا بالموقف لا ليلاً ولا نهاراً، ثم رجع إلى جدة فأفنى أموالها[١].

وذكر العلامة ابن خلدون أنه كان يتردد إلى الحجاز فى سنة ٢٢٢ وأنه خرج فى أعراب الحجاز ويسمى بالسفاك حتى أهلكه الله بالجدرى فى آخر سنة ٢٥٢، لأنه ضَيَّق على أهل مكة وأهل جدة تضييقًا زائدًا، ثم أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

وفى سنة ٨٠٦ تولى أمر جدة جابر بن عبد الله المعروف بالحَرَاشِىّ، أصله من التجار فولاه الشريف حسن بن عجلان صاحب مكة أمر جدة، فقام بمصالحه أحسن قيام، وكان يحسن السياسة فى استيفاء المكوس، ولكنه زاد فيها كثيراً عما كانت عليه قبل ولايته، وبنى الفرضة التى بجدة ليحاكى بها فُرْضَة عدن، وكانت فرضة جدة على غير هذه الصفة، ثم تغير عليه صاحب مكةُ لخبث لسانه، فقبض عليه فى أوائل رمضان سنة ٨٠٩ ثم رده إلى عمالته بجدة، ثم تغير عليه صاحب مكة لما نسب إليه للسيد رُميثة بن محمد بن عجلان على دوام عصيانه لعمه، فإن رميثة هجم على مكة فى رابع عشر جمادى الآخرة، وفى سنة ٨١٦ هجم المذكور على جدة فى رمضان من السنة المذكورة ونهب جدة فسعى جابر أمير جدة بينهما بالصُّلح، ووقع مع ذلك من جابر المذكور مخالفة لمخدومه أمير مكة فى بعض أوامره، فقبض عليه بمنى، فى النفر الأول ثم قرر على أمواله وأُشْعر بقتله، فصلى ركعتين وخرج من أجياد مع الموكلين بقتله إلى باب المعلا فشنق به، ولم يظهر منه جزع فى حال شنقه، ولافى ذهابه إلى الشنق، ولا تكلم بكلمة واحدة، ودفن بالمعلا.

وكانت أدعية الحجاج عليه كثيرة فى موسم هذه السنة بسبب زيادته عليهم فى أمر المكس، فأُصيب مغ المقدور بسبب دعائهم، فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب كما فى الحديث الشريف. انتهى من «تاريخ الفاسى»[٢].

وأمَّا سبب بناء سورها الموجود الآن لأنها كانت غير مسورة وكانت العربان فى أيام الفتنة تهجم على جدة وتنهبها مرارا قال العلامة القطبى فى «تاريخه»: كانت العربان كثيراً ما تنهب جدة حتى أن عربان زُبَيْد ـ بضم الزاى قبيلة مشهورة قرب جدة ـ أَسَرَتْ فى أيام الفتن

(١) تاريخ الطبرى ج ٩ ص ٣٤٦، شفاء الغرام ج ٢ ص ٢٩٥.

(٢) العقد الثمين ج ٣ ص ٤٠٠.

الخواجا محمــد بن يوسف القارى، وكان من أعيان التجار من أهل الاعتبـار فهجموا على بيتـه بجدة، وأنزلوه من السطح، وأركبـوه معهم على ظهـر فرس ارتدفه واحـد من زُبَيْد، وأخذوه إلى أماكنهم، وهو قـريب عقبة السـويق من درب المدينة المنورة، ومكث عندهم إلى أن اشترى نفسه بثلاثين ألف درهم، فردوه إلى مكة بعد أن استوفوا هذا القدر منه[١].

ونهبت جدة مراراً فى الفتن التى وقعت فى أرض الحجـاز بعد وفاة الشريف محمد بن بركات، وجرت أحوال يطول شرحها مذكور بعضها فى تاريخنا: «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» فى الجزء الثانى والثالث منه.

وفى سنة ٩١٩ وقيل: سنة ٩١٧ أرسل السلطان الغـورى الأمير حسيـنا الكردىَّ وجهز معه عسكراً من التـرك والمغاربة، لدفع ضرر الفرنج فى بحر الهند، وكـان مَبْدأ ظهورهم، وأمره بدفع الفتن الواقعـة إذ ذاك بجدة، وجعلها له إقطاعًا فلما وصل الأمـير المذكور إلى جدة بناه فى هذه السنة، وهو الموجود الآن، وكان ظلومًا غشومًا يسفك الدماءَ، ولا يرحم من فى الأرض ليرحمه من فى السماء، وكان ينصب أعوادًا للصلب والشنق (والشنكلة) وأقام جـلادين للقتل والتسـويط والضرب والبهـدلة، فأىُّ مسكين وقـع فى يده قتله بأدنى سبب، وكـان أكولاً يستوفى الخـروف وحده، مع أرغفـة عديدة، ونفائس له معـدة، وكان أصله كرديًا دخيلاً فى وظائف الجراكسة، فأراد الغورى إبعاده، وكان معتنيًا به فأعطاه جدة، فلما أتى جـدة سوَّرها وبنى أبراجها وأحكـمها، وهدم كثـيراً من بيوت الناس، ممـا يقارب موضع الســور، لوضع الأساس، واستـخدم عامـة الناس فى حمل الحجـر والطين، حتى التجار المعتبرين وسائر المتسـببين، وضيق على البنائين بحيث يحكى أن أحدهم تأخر قليلاً عن المجىء فلما جاءَ أمر أن يُبنى عليه حيّا فبنى عليه واستمر قبره إلى يوم الجزاءِ، إلى غير ذلك من الظلم الشديد والجور العنيد، وبنى السور جمـيعه فى دون عام من شدته وغشمه وإقدامه وظلمه. انتهى[٢].

وكان طول أساس الســور المذكور فى الأرض اثنى عشر ذراعًـا، وطول المحيط بالبلد من جهة القـبلة واليمن والشام ثلاثة آلاف ذراع، غيـر الأبراج، وهى ستة أبراج، دور كل برج منها سـتة عشر ذراعًا بجـدرانه، وعرض جدار السور أربعـة أذرع، وأما الأبراج فطول

(١) النهروالى: الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ص ٤٤٤ ـ ٤٤٥. (٢) النهروالى: الإعلام ص ٤٤٥.

الشامى واليمانى على وجه الأرض خمسة عشر ذراعًا، والبرجان القبليان الملاصقان لباب البلد المسمى أحدهما باب الفتوح وهو الأيمن، والآخر باب النصر وهو الأيسر، وطولهما على وجه الأرض أيضًا كذلك، وأمَّا البحريان فقد نزل بهم الغواصون فى البحر اثنى عشر ذراعًا، وجميع ما ذكر من الأذرعة فبذراع العمل وهو ذراع ونصف بذراع النَّجَّار[1].

ثم ما زال الأمير حسين الكردى يقتل ويشنق فى جدة بغير حق حتى توجه إلى الهند، ثم سفك الدماء بأرض اليمن، وافتتح فى طريقة مملكة بنى طاهر ظلمًا وعدوانًا، بعد حروب يطول شرحها، وأقام بها نُـوَّابًا له، وكانوا ملوكًا من أهل السنة والجماعة، ثم رجع إلى مكة المشرفة، وكانت إذ ذاك دولة الجراكسة قد انقرضت بمصر، وتوجه الشريف أبو نُمَىّ بن بركات وعمره اثنتا عشرة سنة إلى مصر ورجع مسرورًا بما طلب من السلطان سليم، وأمره بقتل حسين الكردى، فنصره الله عليه وأُخِذَ الأمير حسين الكردى مُقَيَّدًا من مكة إلى جدة، ورُبِط فى رجله حجر كبير وغُرِّقَ فى بحر جدة فى موضع يقال له (أم السمك) فأكلته الأسماك بعد أن كان من الأملاك، وتفرق فى البلاد جنوده وأعوانه بَدَدًا ﴿ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (سورة الكهف: ٤٩) كذا فى «تاريخ القطبى»[2].

[3]وفى أوائل سنة ١٢١٨ سادس شهر محرم الحرام سافر أمير مكة الشريف غالب بن مساعد من مكة إلى جدة خوفًا من طائفة الوهابيين[4] حين أقبلت على مكة بعد خرابهم للطائف وقتلهم لأهله بغيا وعُتُوًّا[5]، فترك مكة ونزل جدة للحصار، وبقيت الرعايا بمكة لا

(١) ابن فرج: السلاح والعدة ص ٤٠: وذراع النجار التى أشار إليها المؤلف هنا تبلغ ٧٧,٥سم، فتكون ذراع العمل التى قدر بها المؤلف أبعاد سور جدة هى ٧٧,٥سم × ١,٥ =-١١٦,٢٥ سنتيمتر (المكاييل والأوزان الإسلامية ص ٩١).

(٢) الإعلام للنهروالى ص ٢٤٦ وما بعدها.

(٣) الحواشى من هنا إلى قوله: «تلصق فى الزلة» ص ٤٦ مما كتبه الشيخ حمد الجاسر فى هذا الموضع من المطبوع.

(٤) كلمة الوهابيين ألصقها بدعاة الإصلاح أعداؤهم للتنفير من قبول تلك الدعوة، ولكنها أصبحت تطلق على كل من دعا إلى تطهير العقيدة السلفية من البدع والخرافات، ولله در الملا عمران صاحب لنجة حيث يقول:

إن كان تابع أحمد متوهبًا فأنا المقر بأننى وهابى

(٥) ما حدث فى الطائف أكثره - إن لم يكن كله - من البوادى الـ[illegible]ية منه، وقد أوضح ذلك الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالة مطبوعة معروفة فى كتاب «الهدية السنية».

يقر لها قرار، وقد استسلم أهلُها للشهادة، وطلبوا من الله الحسنى وزيادة، حَتَّى قال قائلهم.

مَسَاكِينُ سُكَّانُ أُمِّ الْقُرَى
فَكُلٌّ يَنُوحُ على نَفْسِهِ
يُقَضُّونَ أَيَّامَهُمْ كُلَّهَا
عَلَى أَسَفٍ أَوْ على عَكْسِهِ

وذلك بعد أن دافع أشدَّ المدافعة وقاتل أعظم المقاتلة، ولكن زحف عليه هذا الخارجى[1] بالتغلب والأعراب، وهم كالبهائم والوحوش إلا أنهم أَحْزَاب، وقد ذكرت القصة تفصيلا فى الجزءِ الثالث من تاريخنا المسمَّى «نزهة الفكر فى الحوادث والعبر» وكان لما استولى سعود الوهابى على مكة وما جرى له فى عرصاتها من كل طريق وسكَّة، بدَّلَ حرم الله بالخِيفة بعد الأمان، وخالف فى أفعاله ما جاء به القرآن[2]، أرسل إلى جدَّة علىَّ ابن عبد الرحمان شفيق المضايفى عثمان، بكتاب لأهل جلة يطلب منهم الدخول فى طاعته، وانخراطهم فى سلك جماعته، فأجابوه استهزاءً بعقله، وسخروا من حماقته وجهله وقالوا: بأننا رعية لمولانا الشريف، فطاعتنا من طاعته، ولا نكون إلاَّ من جماعته، وعلى كُلِّ حال هَبْ على الفرض والتقدير، لو فرض أننا نطيعك ونعصيه، ونقربك ونُقْصيه، وندخل معك فى هذا الدين، ونُقِرُّ على زعمك أننا من المشركين، هل تطلب منا شيئًا من الدراهم؟ أم يصح الدخول فى دينك بدونها؟.

فلما قرأ الكتاب، فرح بما فيه من الجواب، وظن من قلة عقل هذا الأحمق أن هذا الكلام حق، وهم يسخرون من حماقته، ويعجبون من رقاعته، فأرسل يطلب مائتى ألف

(١) وصف أتباع الشيخ محمد بأنهم خوارج أصله أن الدولة التركية وأنصارها لكى ينفروا الناس من قبول تلك الدعوة السلفية وصموا أهلها بالخروج، وقد تصدى علماء الدعوة للرد على هذه الفرية، وأوضحوا أنهم براء من كل مذهب يخالف الكتاب والسنة.

(٢) بل الأمر بعكس ذلك، فقد طهر الإمام سعود بيت الله مما كان يجرى حوله من البدع والخرافات وأمور الضلال، وهذا مما اعترف به كل إنسان منصف حتى من علماء مكة أنفسهم، كما أوضح ذلك الإمام الشيخ عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى رسالته التى سبقت الإشارة إليها.

ريال، وستين ألف مشخص عتيق، وبستة آلاف ريال من القماش الرقيق، فتوجه لقبض الأموال فى الحال وركب متن الطريق، بكل فاجر زنديق[١] وتوجه إلى جدة، وفى قلبه لقبض الدراهم حِدَّة، وكان يوم الجمعة الثانى والعشرين من محرم سنة ١٢١٨.

فخرج قبل صلاة الجمعة، معه المنافقون والكافرون: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (سورة الشعراء: ٢٢٧) وكان مدة إقامته بمكة أربعة عشر يومًا، ولما أناخَ بساحل جدَّة، وقد استعد له الشريف بالسلاح والعدة، فتبسم له فَمُ المدفع بالقلل، وصار يُشتِّتهم من محل إلى محل، فحملوا حَملَةَ رجل واحد على السور، وراموا ينقزون وينهبون القصور، فتشتتهم المدافع حتى ينتهزمون، وما زالوا على هذا الحال مدة بلياليها ثلاثة أيام، ولحومهم يَشْوِيها البارود، وسعود يُزيِّنُ لهم الأمانى والوعود، وإبليس يقول له: المال هنا لا نعود، فكانوا لا يصلون إلى المخيم، إلا وقد شاهدوا نار جهنم.

وما زال هذا الشقى يقاتل تَجَبُّراً وعناداً، حتى مضى له ثمانية أيام، ثم ارتحل عنها بالخزى وقام، فملأت قتلاهم السهل والوهاد، حتى شبعت الوحوش من تلك الأجساد، وجاء تاريخه (منقلبه سعود مغلوب) فارتحل هذا المعكوس، وقد رأى من الشريف بجدة حرب البسوس، فتوجه الشقى من أشراف مكان إلى حيث يطلع قرن الشيطان[٢].

وفى يوم من بعض الأيام ورد عبد الوهاب أبو نقطة وظن أنه يجد بمكة سعود، ويقاتل معه بجيش ويعود، فما وجده إلا وقد خذل، فلم يدخل مكة المحمية ونزل بجيوشه على عين الحسينية، وخطر ببال هذا المرقد[٣] أنه يقاتل بندر جدة ويحقد، فأقام بالحسينية بياض يومه بقومه، وأرسل للشريف عبد المعين كتابًا ومعه خمسة عشر ريالا، وكتب فيه فاسد العقل فقال - وكان الشريف عبد المعين من عمال سعود: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الوهاب أبو نقطة إلى عبد المعين بن مساعد، السلام عليكم

---

(١) لا تجب الإطالة بالتعليق على الكلمات البذيئة التى لا تليق بعاقل، فضلا عن عالم، ويظهر أن الحضراوى استقى كثيرا مما ذكرنا هنا من مؤلف ابن عبد الشكور الذى نشرت مجلة «العرب» خلاصته. (س ١٠ ص ٨٠١ إلى ٨٦٨).

(٢) يشير إلى حديث معروف، إلا أن العلماء المحققين قد أوضحوا أن المقصود به بلاد العراق لا بلاد نجد، فتلك شرق المدينة.

(٣) كلمة المرقد سيئة استقاها الحضراوى من سلفه ابن عبد الشكور.

ورحمة الله وبركاته ـ اعلم أن قصدى آخذ جدة، واستعديت لها بالسلاح والعدة، ومذ حللت بهذا النادى نفد زادى، فخذ لى بخمسة ريال دقيق وخمسة ريال عَلِيق، وخمسة ريال سمن، فلربما يطول علينا زمن الحصار، يلحقنا من عدم الزاد مضار، وأرْسل لنا قدر مائة سُلَّم ننقز عليها السور، ونهجم على البندر المذكور[1].

فقرأ الشريف عبد المعين كتابه بمحضر من أهل مكة، وأناس من جماعته فأخذهم العجب من غباوة عقله وحماقته، فأرسل له مع رسوله كل ما طلب وفاض به الأمر إلى العجب، فتوجه من الحسينية إلى أن وصل نصف طريق جدة، وَحَرَّض على القتال جنده، ولم يتجاوز (الركانى) بجنوده حتى خفق ريح الدبور ببنوده، فنأى عن الكفاح، وامتنع عن الرواح، ورجع ثانيا القهقرى، ونزل بِفِنَاءِ أُمِّ القرى، فسألوه لم رجعت عن القتال أيها الأمير وأنت من رجال الحروب، وأهل التدبير؟ فقال: قد أسلم على يدى كلُّ من كان بجدة وأطاع، ولم يبق بيننا قتال ولا نزاع، فانظر لهذا الكذوب الأصقع كيف يروم بهؤلاء الأوغاد أمراً دونه خرط القتاد، كيف وهو يعلم أن سعود ما قام عنها، ورجع، إلا بعد ما نصنع؟ مع أنه أحد جبابرة العالم، ولكن كما قيل:

ذُوُ الْجَهْلِ يَفْعَلُ مَا ذُو الرَّأيِ يَفْعَلُهُ

فِى النَّائِبَات، ولكِنْ بعدما افْتَضَحَا

وفى شهر محرم أيضًا من سنة ١٢١٩ أقبلوا لقتال أهل جدة المسلمين أعداءُ المؤمنين، فأحاطوا بجدة وأطرافها أراذل الأعراب وأجلافُها، فنادى شريف مكة سيدنا الشريف غالب ـ وكان قد ملكها ـ على سكان البلد الحرام بحمل السلاح، والخروج إلى الزاهر (نفير عام) فخرج الناس على طبقاتها إلى الزاهر، حاملين السلاح، يبيتون من وقت المساءِ إلى الصباح، حتى مضى لهم سبع ليال، فتحقق انكسار فرقة الضلال، بوصول السيد عبد الله ابن شنبر مبشراً بتحقيق الخبر على (أن) اثنى عشر ألف مقاتل أناخت بذلك الساحل، وأحاطوا بالسور، وفى كل يوم يحملون على البلد حملة واحدة، ولم يجدوا من الله مساعدة، فيعودون إلى الخيام، فإذا قتل منهم خلق كثير، ينفرون كنفرة الحمير، ويقع

(١) لا شك أن هذا الكتاب مختلق وليس صحيحًا، يدل على ذلك أسلوبه وهو منقول عن كتاب ابن عبد الشكور.

عليهم فى اليوم التالى كالأول من زيادة أعمال القنبرة والمدفع، حتى أفنى منهم جملة، حتى مضى لهم ثلاثة أيام فارتحلوا بالويل فى جنح ليل، وامتلأت من قتلاهم الحفر، فتوجه ابن شقبان على طريق الوادى وأصبح بالمضيق، وأخذ عثمان طريقًا غير هذا الطريق.

وفى ثمانية عشر من شعبان سنة ١٢٢٠ فى أوان الترحيم أناخ على ساحل جدة المارق من الدين المضايفى عثمان، بجملة من العربان، وكان وروده إليها غدرًا واختلاسًا، قبل أن تَهُبَّ أَعْيُنُ الحراس من النُعاس، لكن أخطأتْ استه الحفرة وما رجع منها إلا بالخيبة والحسرة، فقسم قومه من ثلاث جهات، وجعل خلفهم الخيل حتى التصقوا بسور البلد وقد صبحوا ومعهم كثير من السلالم وقربوها، ومعاول من الحديد لأحجار السور لينقبوها، ثم صعد جانب منهم على تلك السلالم فرقى، ولم يكن إلا كلمحة قبل أن يتكاملوا عليها حتى ضربت عليهم المدافع والقنابر، حتى انهزمت الفئة الظالمة - ومات كثير منهم - إلى مخيم عثمان بالخيبة والخسران.

ثم عاد عثمان العنيد بجيشه إلى قرية المدرة، وأعمل رأيه فى مكيدة مبتكرة، فجعل يُرَاسِلُ العربان من كل مكان، فكروا عليه حتى امتلأ الوادى، وكلما اجتمع عليه ناس فى هذه المدة يرسله إلى طريق جدة، وأبقى لمحاصرة جدة واهس شيخ زبيد، فكم قتلوا حولها من الفقراء والمساكين، حتى وقع الفناءُ منهم فى التكارنة الذين يجمعون الحطب والحشيش كما قيل:

يَعُدُّوْنَ قَتْلَ الْمُسْلِمِيْنَ تَقَرُّبًا

وَهَيْهَاتَ (هَيْهَات) التَّقَرُّبُ بِالْبُعْدِ

وكان قد اشتد الحصار على مكة وغلا الأسعار وعُدِم القوت وفنى الموجود، حتى أكل الناس الجلود، فبلغت بمكة الكيلة مشخصين، من الحب والرز، وقس على ذلك.

ثم إن الشريف غالب أمير مكة وَسَّطَ ناسًا للصلح، وأن يدخل تحت أمر سعود، ورأى فى ذلك إِحياءً لأهل مكة من الهلاك والجوع والحصار، فتم ذلك وكان، ثم فَرَّق جنده الأتراك وغيرهم على ممالكه كالينبع واليمن وسواكن ومُصَوَّع وغيرها، ونزل

هو وعبدى باشا، والى جدة، وأرسل مصطفى كتخدا جدة نائبا على البندر، يجمع العشور.

ثم فى تسع وعشرين محرم سنة ١٢٢١ أرسل إلى بندر جدة أربعين خيالاً من الأتراك مع تفقجى باش، وعيَّن لهم ما قرره من المعاش، فما زالوا بساحتها مقيمين، خمسة أشهر بثغرها مرابطين، ثم لما اطمأن على رعيته من الفتن، وسكن روعهم من المحن، عنَّ له أن يتوجه لإصلاح بندر جدة وتحصينه بالخندق والسور، فتوجه من مكة إليها فى غرة صفر، وفى اليوم الثانى صبَّح البندر فنزل فى دار الوزارة، ومستقر الإمارة.

وفى يوم الجمعة رابع شهر صفر نَهَى عن شُرْب الدخان بجدة فى الأسواق، وأمر بمنع بيعهِ فى الدكاكين على الإطلاق، لأنه كان من جملة مذهب الوهابيين.

ثم أمر بعمارة الخندق ورأى أن عمله بالمساحى صعبًا على الفعلة يحتاج إلى مُدَّة مطوّلة، فاختار بنيانه بالبقر أسهل وأيسر، واشترى ثمانين ثور، لنفى التعب والجور، وجمع المعلمين أهل الهندسة والصناعة، وجعل أربعين يشتغلون من جهة الشام، وأربعين من جهة اليمن، فشرعوا فى تعكيره كما أمر، من أول شهر صفر، وما زالوا عليه مجتهدين شمالا ويمينًا، إلى شهر جماد الثانى، وهم آخذون فى تشييد تلك المبانى، ثم لم يبق للشغل بالبقر محل، لغشيان الماءِ باطن الخندق، ووجدوا حجرًا جهة الشام قدر مائة ذراع يقال له: المنقبة لصلابة أحجارها متصعبة، فأمر الحجَّارين أن يفقشوها بمعاول الحديد، ويحرقونها بالنار، وما زالوا مجتهدين الاجتهاد التام، إلى آخر العام، فجاءَ كما تراه خندقا يروق الخاطر ويشوق الناظر.

أقول: والآن قد انسدَّ وانهار عليه التراب، ولم يبق له إلا الآثار، وكانت قد تحصنت البلاد به غاية التحصين وتمكنته نهاية التمكين، وانقطعت آمال العدو عن المطامع، كما هو نص فى الواقع.

وفى يوم الأحد ثانى جماد الثانى سنة ١٢٢١ أمر ببناء برج على نفس باب (البغار) المسمى بالعلم يمنع الداخل إلى الْمَرْسَى إن قصده عنوة، فبنوا الأساس حتى اعتلى عن وجه الماءِ ثم تركوه إلى ما.

وفى ثمانية عشر صـفر كان وصول حمد بن ناصر ومعه أهل الدرعـية من رؤساء الفئة الوهابية، فلمـا وصلوا إلى مكة بكتاب من سـعود، وكان صـاحب مكة بجدة فنزلوا إليـها لملاقاة الشريف، ولإظهـار ما جاءوا به من الإفك والتزييف، فانعقـد الصلح بينهما، وزال الإيهام واتضح الأمر اتضاحًا تام، ونزل حمد بـن ناصر إلى مسجد عكاش فى الحال، وقرأ رسالة جَدِّه التـى يُكفِّر فيها المـسلمين[١]، وأمر الـناس وتجار البلد، وسكانهـا وساداتهـا وأعيانها، وما زالوا يحضرون قراءتها حـتى أتمها، وخلط فيها ابن عبد الوهاب، وآثر الخطأ على الصواب، وهى فى الحقـيقة هذيان، يضحك منها الصبـيان، تلخيص ما فيهـا: تكفير جميع من فى الأرض بالطول والعرض.

وفى يوم خمـسة وعشـرين من شهر صـفر أمر بهـدم قبب الصالحـين، لتطيب نفوس أولئك المـعاندين، وأمـر على أهل جدة بالإمـساك عن شرب التـنباك، وكل ذلك تسـترا، ومداوة لإخمـاد نار الفتنة، وما أحوج الناس على طاعـتهم على مثل هذا المقدار، غـير ما وقع لبلد الله من الحصار، وإلاً فمعاذ الله أن يرتـضوا بالدخول فى دينه المعوج، والخروج من الدين الحنيف الأبلج[٢].

وأمر الشريف بإبطال نَدْب نوبته[٣] ونوبة والى جدة حتى يفرج الله هذه الشدة.

---

(١) يقصد رسـالة من الشيخ محمد بن عـبد الوهاب، رحمه الله، وهو لم يُكفِّر إلا من كـفَّره الكتاب والسنة، كما يـعرف ذلك من اطلع على مؤلفاته ومـؤلفات أنصار تلك الدعوة السلفـية والقول بأنه يُكفِّر المسلميـن فرية قديمة، تصدى للرد عليها علمـاء الدعوة الإصلاحية منذ عهـد الشيخ، رحمه الله، إلى هذا العهد.

والشيخ حمد بن ناصر بن معمر الذى تولى قـراءة تلك الرسالة من كبار علماء الدعوة السلفية وهو الذى تولى مناظرة علماء مكة فى ذلك الـعهد حتى أقنعهم بـالحجة والبرهان بصحـة تلك الدعوة الإصلاحية، وأنها حقيقة الدين الإسلامى، كما أوضح ذلك فى رسالته «الفواكه العِذاب» المنشورة فى كتاب «الهدية السنية».

(٢) الحضراوى من أولئك الجهال بحـقيقة دعوة الشيخ محمد، رحـمه الله، فهو لم يأت بدين جديد، وإنما جـاء مجددًا للدين الإسـلامى الحنيف الذى ألصق به الجهـال من الخرافات والبـدع وأمور الضلال ما جعله يبدو غريبًا على الحضراوى وأمثاله، كما جاء فى الحديث الشريف: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ».

(٣) يقصد الموسيقى التى تدق له أو لوالى جدة.

وفى سنة ١٢٥٢ كـان أول وصول قنصل الانكليـز بجـدة وتوطنه بها، ونصب له بهـا (بنديرة) وهى أول بنديرة[1] نصبت بجدة، ولم يعهد توطنهم بها قبل ذلك.

وفى سنة ١٢٧٤ كان بها فـتنة عظيمة وهو أن أبناءَ ابراهيم جوهر تخاصـموا مع صالح جوهر، كانوا رعـية الانكليز، فأحب صـالح جوهر أن يكون رعية للدولة العـلية لقول الله تعالى: ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (سورة المائدة: ٥١) وأدار (بيرق)[2] سفينته عثمانى، ضدًا فى أبناءِ إبراهيم جوهر، والحاج فرج يسر، كونه كان مُعَضِّدًا لهم، فأشار الحكومة فى ذلك، أى على علامة سلـطان الإسلام، وحامى حمى بلد الله الحرام، ومـدينة النبى عليه الصلاة والسلام، فحين رأى القنصل ما ذكر، أرسـل لأحد قباطنهم، وأمره أن ينزل البيرق ويضع بيرق الانـكليز محله فـفعل، فـغضب حينـئذ القنصل، وأرسل إلى صـالح جوهر، وحبسـه لتعديه وخروجه على حكـومته بغير أُصـول عنده، فاغتاض قائم مـقام جدة لذلك وأرسل لكبـير الحـضـارم: حيث لم يكن عندى بـجدة عـساكـر بكثـرة، فخلَّى جـملة من الحضارم، بالسلاح يمرون على بيت القنصل ترهيبًا له، وهذا من سخافة عقل القائم مقام، وعدم درايته بأصول الأحكام، وأن العامة والرعاع إذا قامت لا يردها شىء.

وكان ذلك القـنصل المذكور أحـمق من هَبَنَّقَةَ، وأشـأم من طُويَس(*)، حين مَـدَّ يَدَهْ للبيرق وقلعه، ودَعَسَهُ وقد زام، وما خشى الحجة والالتزام.

وفى الحديث: «الـفتنة نائمة، ولعن الله مـن أيقظها»(**) أو كمـا قال ـ فحـين سمع الرعاع من الناس، والغـوغاءُ هذه الفعلة، أخـذتهم دائرة الغفلة، وربما كـانت تتداوى هذه الأمور بأقل من ذلك، ولكن المقدور يدور، ولله عاقبة الأمور، كما قيل:

إِذَا أَرَادَ الله أَمْـــرا بـامـــرئٍ
وكـــان ذَا عَـقْل وَسَـــمْع وبَصَـــرْ
أَصَم أُذُنَـيْـــه وأَعْـــمَى قـلبـــه
وسَلَّ عـــقـله سَلَّ الـشَّـــعَـــرْ

---

(١) البنديرة: العلم. (٢) البيرق: العلم.
(*) انظر فى أشأم من طويس مجمع الأمثال للميدانى ج ١ ص ٢٥٨.
(**) أخرجه صاحب اللكنز برقم ٣٠٨٩١ وعزاه للرافعى.

حـــتى إذَا أنْفَــذَ فِــيْــهِ حُكْمَــهُ
رَدَّ إلَيْــه عَـــقْلَهُ لِيَــعْــتَــبِــرْ
فلا تقلْ فـيمـا جَرَى كَـيْفَ جَرَى؟
فَكُـلُّ أمْــرٍ بِقَــضَـــاءٍ وقَـــدرْ

فاحتزم أهْلُ جـدة والحضارم، وبعض من المولدين الأجارم، وصاروا قـتلا ونهبًا فى كل جنس يـخـالف دين الإسـلام، ولم يـدروا عن شـروط المســتـأمنين وأهـل الذمـة والمعاهدين، فى دار الإسلام، وأنه لا يجوز التعدّى عليهم شرعا، وإن كان المذنب واحدًا فمـا ذنب الجنوس الأُخَر ﴿إنْ هُمْ إلاَّ كَالأنْعَامِ﴾ (سورة الفرقان: ٤٤) فثارت الفـتنة ونهبت أموالهم بعد الذبح كأن لم يكونوا.

وكان البـاشا والى جُـدة وهو محمـد نامق باش مكة المشـرفة، حتـى خلت جدة من الفرنج أجمع، مـنهم من أسلم، ومنهم من أُسِر، ومنهم من تردى وقتل الجـميع، ثم بعد شهـر أو أزيد أتى مركب فـرنج حَرْبِيّ، ورمى بالقلل عـلى جدة، ففى ذلك الـيوم كم من هارب، وكم من خارج من مَـحلّه، وصفصفت أهلُ جـدة هاربين على مكة ونحوها، ولم يصب البلد من قللهم شىءٌ غير صهريج أتت عليه قلةٌ، ولأن قلعة جدة لم يكن عندهم أمرٌ بالرمى على المركَب المـذكور، وإلاَّ كان أهلكوهم من أول وهلة، ثم انصـرفوا بعد نزول الوالى، وبعض من أكـابر أهل مكة ورؤسائهـا، وساسوا الأمـور، وأخذوا عليهـم مكاتبة بفعلهم تعديهم، وذهبوا إلى حالِ سبيلهم.

ثم بعد أيام قـلائل أتى أمر من مولانا السلطان عبـد المجيد، بِرَدِّ أموالـهم والقصاص ممن فعل بهم، سياسة شرعا لكونهم من أهل الذمة، فأخذ الوالى المذكور من أهل جدة، والمولدين بها، اثـنى عشر رجلا، قطع رءوسهم ثم الشـيخ سعيد العـمودى، لكونه شيخ الحضارم، وعبد الله أغـا فران محتسب جدة، كذلك قطعت رءوسهـما بالبنط، وأُخِذ جَمْعٌ من أهل البلد والعامـة نحواً من أربعين رجـلا سُفِّروا إلى (الأسـتانة) ثم أُطلقوا بعـد مدة ورجعوا سـالمين، ثم أُخذ تجـار جدة وشيخ السادة والقـاضى وسُفِّر، فرجع القـاضى بعد سبع سنين، وبعضهم توفوا بتلك البقاع، والحكم لله يفـعل ما شاء، وكانت أحوال مزعجة

لا يطيق القلب سماعها، تحتاج إلى مجلدات، وإنما ذكرت هذه زبدتها، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وفى سنة خمس وسبعين ومائتين وألف كان أول سنة مجيء محمل أهل مصر، من طريق البحر على جدة، ثم يطلع من البحر بموكبه من جدة إلى مكة، وهذا لم يُعْهد سابقا أبدًا مطلقا، وذلك بأمر والى مصر محمد سعيد باشا، حتى أهلكه الله بعد ثلاث سنوات سنة تسع وسبعين، رجع المحمل من البر على عادته من مصر إلى مكة.

وفى تلك المدة كثرت مراكب (بوابير) البحر فى بحر القلزم من جدة إلى السويس، حتى بلغت إلى ثلاثة عشر بابورًا، وهى للحجاج من أعظم المنن، لأنَّ الغالب لمن ركب فيها السلامة [ ][1] فجعل والى مصر وكيل (الكبانية) ببندر جدة المحمية رئيس التجار، معدن الفخار الذى رفعه الله بأعلى بساط، الأمير عليها الشيخ أحمد المشاط، حفظه الله، فكان يسوس أوامرها، وخصوصًا يرأف ببضائع التجار مع شدة أمره على المتوكلين، وبالحجاج المسافرين، بخلاف غيره من الأُمراءِ فإنهم لما أُمِروا أكلوا البراطيل والرشا، وزادوا على حجاج بيت الله حيث لهم جواسيس على الحجاج (إن كان تَبغا تنزل قبل غيرك وتسلم، هات النفر دينارا زايد على الكرا) فتجارتهم خاسرة، وبيعتهم بايرة، ولقد مدحت الشعراءُ هذا الأمير بقصائد أرسلت إليه من مكة ومن جدة ليس يحويها هذا السفر، فأجار الوفاد، وأنجز السداد، ألهمنا الله وإياه الرشاد.

وفى سنة ١٢٨٠ جددت عمارة المسجد الذى على البحر المعروف بمسجد عكاش لأنه من المساجد القديمة، وأُتقن وأُحكم، وكذا الميضأة التى هى بجانبه، وكذلك ما اندرس من المسجد الذى بالقلعة، ويعرف بمسجد عمر.

وفى سنة ١٢٨١ فى شهر صفر ورد إلى جدة عساكر مصرية عزيزية، وأقاموا فى محل (القشلة) الخارجة، فقل الماءُ على أهل جدة وضاق بهم ذرعًا، كما قيل:

من غَصَّ دَاوَىَ بِشُرْبِ الْمَاءِ غُصتَّهُ
فَكَيْفَ يَعْمَلُ مَنْ قَدْ غَصَّ بِالْمَاءِ

---

(١) كلمة غير واضحة فى الأصل.

واحتاج أهل جدة والقاطنين بها ذلك فأبعدوهم عنها فى محل بينهم وبين جدة ساعة ونصف عند آبار عذبة.

وفى سنة ١٢٨٣ كان قائم مقام جدة (نورى أفندى) رجل أصله من (الأرانطة) كان كاتبًا على (العرضى) وقيل على القراية الأرانطة ثم صار على شونة مكة كاتب، وكان فى ضيق من العيش فساعدته الأقدار فتولى قائم مقام الوالى جدة ثم جمعت له نظارة شونتها مع القائم مقام فمكث بها مدة سنوات فظهرت صولته وهابه الناس، ثم إنه انقطع لتمدن البلد فقطعها من الأرض طول ذراع (؟) من سائر البلاد، وشغل فيها أهلها، والذى لم يشتغل يؤجر بدلاً عنه وسدّ شيئًا من ساحل البحر، من ناحية (الكمرك) حتى أنّه دخل فى البحر نحو خمسة عشر ذراعًا من كل ناحية من الطول، وأما العرض فجعلها نظير (مينة إسكندرية) وأتقن بناءها وكانت أولا (السنابيك) تلصق فى الزلة، والبضائع تصير متراكمة وربما يتلف بعضها، وفى وقت الحج يضيق على الحجاج العبور، ثم من الجهة الشامية هدم السور وأدخله إلى جهة البحر، وسدّ من تلك الناحية وساوى بين الأرض، ثم إنه سقف جميع أسواقها حتى صار الإنسان لا يمشى إلا فى ظل، وأمر بهدم العشش من الدكاكين والقهاوى، وجعله كله صندقة، فصارت من قبيل (غورية مصر) والسكرية، وجعلها ميزانا واحدًا، وكان قبل ذلك دكان خارج، والآخر داخل، فوسع فى الصنادق كل ذلك بالقوة القهرية، وبالمداراة السياسة، وأمرهم بنقش الأخشاب، وكفّ أهلها عن المقاتلة مع بعضهم، وطار صيته، ودخلت هيبته فى قلوب الرعية، حتى صاروا يخوفون به الأطفال، وأمر بقطع (كَدَاوى) من القمائم على بعضها كأمثال الجبال، فسدّ بها البحر من ناحية الفرضة ثم من ناحية المعمار عمل سوقًا وبنى فيه دكاكين صغيرة وسقفه بالأخشاب ورونقه يعرف بالنورية، وجعله للخضرية والجزارة، وجعل فيه قهوة لطيفة، وكان طلب منى تاريخا لهذا السوق فقلت:

عَرِّجْ علـى أرْجَاءِ جـدةَ يا فـتَى
وانظر إلى السُّوقِ الجديدِ المُثْبَتَا

طالع سـعـود اليـمن فـوق بسـاطه

يا حـسـنه لمـا رنّا مـتـلفـتـا

قـد أسّـس البنيـان (نـورينا) الذى

مـا مـثلـه فى جـدة أبـدًا أتى

(قـائم مـقـام) يا له من همّـة

فى فـعله الخيـرات صيـفًا والشـتا

فى مـدة السلطان عـز نصـره

(عبـد العزيز) البَرّ، لى كُنْ منصـتا

وأمـيـر مكة والحـجـار بـأسـره

مـولانا عـبـد الله سيـدنا الفـتى

و (وجيـه باشا) واليا شـيخ الحرم

من نال بالتـحـقـيق قـولا مـثبـتـا

نورية مـيـمـونة فى بـلدة

تحـوى رموز الدهر فى رسم مـتى

يحـبـوه ربى من مـزيد عـطائه

بعـد الوفاة مـن الحسان المـوقتـا

لمـا أتمُّـوا غَـرْسَـه أرِّخْ بِقِفْ

(نورى أفندى) قَـدْ جناه وما عـتى

ثم جعل سوقا خارج باب مكة من الصندقة الأخشاب بقهاوى، وغَيَّرَ القشاع.

وفى الحقيقـة كانت جدة قبل هذه العمارة لا يطيق الإنسـان فى مدة الصيف أن يخرج من بيتـه من رائحة النَّدَا الكريهةِ والزناخة والشـمس المحرقـة والعشاش، والقشـاع، وغير ذلك فصارت كأحاد المدن الفائقة.

ثم إنه شَغَّلَ الناس فى عين أدخلهـا لها، وكانت قديمًا ثم بطلت، ثم انهـدم مجراها،

فأمر على الناس وأهل الحـواير فى الشغل فيها حتى أدخلهـا إلى البلد، وجعل لها (بارانا) للسقاية) فى ناحية العلوى، ثم أجراها إلى الفـرضة حتى تصب فى البحر، ثم ضعفت وقل ماؤها لكنه يجرى قليلا، فـانتفعت به البلدة وأهلها، وإن كان ماؤها غـير عذب، لكنه يعين على المهنة والغسيل وغير ذلك.

ثم فى سنة ست وثمانين ومائتين وألف عمل صهريجا كـبيراً للدولة العلية باسمها أكبر ما يكون فى صهاريج جدة، وكل محبوس يشتغل فيه، وأتمه.

والحاصل أنَّ الرجل لمـا اجتهد فى عـمارة البلد ذلَّ له أهلها وهابه رعاعـها، لسطوته وتجبره وتـكبره ـ ترادفت عليه الرتب، وساعـفته الأقدار، حـتى صار فى رتبة (ميـرميران باشا) فكان يقال له: (نورى باشا) ونودى باسمه وخوطب بذلك وصار له معارف من رجال الدولة ومكانة وذلك لسبب كل قـادم إلى الحج وغيره يجرى عليه الضـيافات، ووضع يده مع التجـار على سائر المـرابحات، حـتى نمى ماله، وترقى فى حـاله وجلبت إليـه الهدايا والخيل المُسَـوَّمة والعربة وغير ذلك إلى أوائل سنة ١٢٨٨ عزل عنهـا وتولى محله (قاسم باشا) واليًا عليـها قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٤٠) ومع ذلك كان لا يوقر كبيرا ولا يرحم صغيـراً، فبهذا ترقَّى فى أسرع مدة، ولكنه صنع بعض خيرات بجدة، وكفَّ العامة عن التعرض لبعضهم ولغيـرهم، وسوَّى بين غنيِّها وفقيرها فى المقام، حتى تمَّ العام.

وبجدة من خارجها قشلة مُتَّسعة قريبة من ضريح السيدة حواء، للعساكر الشاهانية، كان بناها محمد على باشا، والى الديار المـصرية، وهى مكينة فى البنا، وطواحين الهواء ثلاث كان بناها المذكور أيضًا.

وأما سقياها فمن ماءِ المطر، ولهم خارجها صهاريج للتجار، تمتلئ من ماء المطر وبها حفر أيضًا تجمع الماء ايضًا.

(وإسكلتها) يمر عليـها من بضايع الهند واليمن ومصر وسـواكن ومصوع وبلاد السين (؟) والصِّين والـجاوى، قيل: إنهـا أكبـر إسكلة فى بلاد الاسلام بعـد إسكلة إسكندرية، وللبغاز باب لا يمكن دخـول مركب بغير ربان من أهلها، مـحكم بابها بين شعبتين علـيهما

علمان لمعرفة الدخول، بصناعة يعرفها أهلـها، فهى للتجار دار مقام، وللمفاليس سجن لا يرام كما قيل.

وَجُـدَّةٌ لِـذَوى الأَمْـوَالِ كَـيِّـسَـةٌ
وَلِلْمَـفَـالِيسِ دارُ الْهَمِّ والضِّـيقِ
أَقَـمْتُ فِيـها مُـضَاعًـا بَيْنَ سَاكِنِهَـا
كَـأَنَّنى مُـصْـحَفٌ فـى بَيْتِ زِنْدِيقِ

وإلا ففى الحقيقة فهى أعظم ثغر من ثغور الإسلام، فكم من ولىٍّ وعالم وفاضل يريد الحج وقضـاءَ المناسِك يَمُرُّ عليهـا، ويدخل من «إسكلتها» كـما هو الغالب، لأن الحـجاج كلهم أضيـاف الله تعالى، وفى كنفه وأمنه، فهى مَـمَرٌّ للأبرار، ومَقَرٌّ للتـجار، ضاعف الله فيها البركات، وأظهر فيها الخيرات.

ومنها: أن الله تعالى جعل أكثر رِزْقِ أهل الْحَرَم من جـهتِهَا، فتراهم ينظرون ويتطلعون ما يقبل من جهتها.

ومنها: أن الله تعالى جـعل سُقْيَا أهلها من مـاء السماء وبركاتها وليس بهـا بِئْر ولا نهر عَذْبٌ غير المطر، ولهـذا تراهم غالبا فى ضيق من الماء حتى أن بعض الفـضلاءِ هَجَا أهلها نظرا لبعض الميل، وبعض المنكرات للاتعاظ والاستيقاظ، فقال:

يَمُـــرُّ السَّـحـــابُ علىَ جُـــدَّةٍ
بِمَـاءٍ مَـعِـينٍ مِنَ الْمُـعْـصِـرَاتِ
يُرِيْدُ الْـهُـبُـوطَ فَــلاَ يَسْـتَطِيع
لِمَـا حَل فِـيْـهـا مِنَ الْـمُنْكَرَاتِ

ولقد شَطَّرْتُ هذين البيتين مع تذييل زائد:

يَمُـــرُّ السـحـــاب على جـــدة
لَعَـلَّ يكون بهـــا الاقـــتِـــوَاتِ

فـــلا يمطـرن ولا يســـــمــــحَنْ

ومـاءِ مَــعِينٍ من المُـعْــصـراتِ

يريد الـهــبــوط فــلا يَســتَطيعُ

لقـــول إلَـهنَا فى المـــحـكمــاتِ

ولو أن هـل القُــــرَى اتَّـقَـــوْا

لمـــا حَل فـيـــهَـا مِنَ الـمُنْكَراتِ

فَـــلاَ تَغْـــبـــان باحْـــوَالِـهِمْ

ولاَ تَامَـنَنَّ لِتـلْكَ الـجِـــهَـــاتِ

فَـيَـــا أَهْلَ جُـــدَّةَ تُوبُوا قـــرِيبًـــا

لَعَلَّ يُـصِـيـــبُــهـا مَـــاءُ الفُــرَاتِ

وقد قلت فى ذلك مادحًا لماءِ المطر وما هنالك، فقلت أيضًا:

إنْ رُمْتَ إدْرَاك السَّــعَـــادَةَ والمُنَى

وأَرَدت إلقـاء القـسـاوة [والعنا][1]

فــعليك بالـمـاءِ القـــراح بجـــدة

مـاء السـمـاء وأنسـه المـســتـوطنا

واشْـرَبْ هَنِيئًـا سيِّـدى لك بالشفـا

مع صح عافية تقيلك من ة [ضَنَى][1]

واطْرب على شـجن البحـار بحيِّـها

تلقى سرورا فى حبور ة [والهَنَا][1]

وأما أسواقهـا فأولها وأعلاها سوق النَّدَا، وسُمِىَّ به لنداوة مـا يراد منه، ووجوده فيه وتَطَرِّيه، وفـيه يقـول الفاضـل الأريب، والجِهْـبِذ الكامل الـكاتب الأديب الشيخ مـحمـد القفطنجى، حفظه الله:

(١) لم تظهر قوافى الأبيات الثلاثة فى النسخة المصورة، والإضافة يستقيم بها الوزن والمعنى.

سُوقُ النَّدَا مَا أَلْطَفَهْ
يا حُسْنَهُ زَايِدْ كَمَالْ
رُمْتُ الذَّهَابَ فَجُزْتُه
فَوَقَعْتُ فِى شَرَكِ الْجَمَالْ

ولقد شَطَّرْتُ هَذَيْن البيتين فقلت أيضًا:

سُوقُ النَّدَا مَا أَلْطَفَهْ
يُشْفَى بِهِ الدَّاءُ الْعُضَالْ
إنْ رُمْتَ قَطْفَ غُصُونِه
يا حُسْنَهُ زايِدْ كَمَالْ
رُمْتُ الذَّهَابَ فَجُزْتُهُ
مِنْ أَجْلِ خَسْفٍ كالْهِلاَلْ
وَوَقَفْتُ أَنْظُرُ بَدْرَهُ
فَوَقَعْتُ فِى شَرَكِ الْجَمَالْ

أقول: وهو سوق مستطيل، فى غاية اللطافة، وبه بعض أحوِشَة التجار وغيرهم وأنواع الأقمشة والأطعمة.

وكذا سوق الجامع وسمى باسم الجامع المعروف بمسجد الشافعى، وهو من المساجد الشهيرة القديمة، وهذا السوق تقابله وأنْتَ داخلٌ من باب مكة، على جهة اليمين يسيراً، مستطيل أيضًا، وفيه يقول الشاعر:

وبِسوق جامِعنا اللَّطيف تَزَخرفَت
أَرُجَاؤُهُ بحمامة وقماريا
من كل غانيةٍ حوراء فاتله
بالأُنس فاتكة تشير لِثالِيَا
الدر منحدر والبحر منفرق
فى وسطه رهج فى عرفه عَليه كماليا

وقلت فيه أيضًا:

* عجبا لسوق الجامع ولأُنسهِ المتجامع *

* يحويه كل لطيفـة مع كل حلو خالع *

* الله مـعلم أنّنى أهـوى لقـاء الجـامع *

ومنها: سـوق البُنط، وهو سوق ظريف مـجمع الصيـارف، وفيه يبـاع السمك الطرىّ والتمـر الصفرى الْمُلَيَّفَ، وأنـواع سُبَحِ اليُسْـرِ والنُّقْلِ، وغير ذلك، وبحـذائه خان صغـير بسقيفة، يوصل لِسُوق الْحَرَاج، وفيه قال الشاعر:

* البُنطُ سـوق لطـيف مُـحَـرِّكٌ لِلسَّـواكِنْ *

* الأَصْل فيـه ظريفٌ والأُنسْ فيه مَـسَاكِنْ *

* عند العوام خـريف والحوت فـيه رواكنْ *

* والتمر فـيه منيف نحو الصـيارف ساكنْ *

* يغـــديك منه رغـــيف بلين البـطن لكنْ *

* يكون معك حريف يأخذ ويعطى بواطنْ! *

والحاصل أن هذا السوق فى أيام الموسم يكون فى الازدحام الغاية مع كثرة الحجاج.

ومنها: سوق بَرَّهْ ـ أى خارج البلد ـ وهو خـارج باب مكة، وهو سوق طريف محتوى على أَبْنِيَةٍ ودكاكين، وسمى بذلك لكونه خارج البلد، وفيه يقول الشاعر:

ولســـوق (بَرًّا) أرجـــو برًا دائمـًــا

يزكـــو ويـنمـــو بِرُّه المـــتـــواتِرُ

لله در السوق فى غسق الضُّحى(؟)

دومـــا دوامـــا نشـــرهُ المـــتـكاثرُ

من نحو مكة سوق جـدة قد غدى

يا حـــسنه يـا أنســه الـمـــتنـاثرُ

ومنها: سوق الخاسكية، وهى شقايق نفيسة، وأحوال زكية، مِنيسة، قد تحلى عليها القبول، وتداومت الوصول والفصول، وفيها يقول الشاعر:

(خاسكية) بجدة منعمة
جلاَّسها كروضها فأنعم
وسوقها مزخرف منبسط
أرجاؤه مزخرف بالنعم

كيف لا، ولأجل مكة شرفت جدة، والفرع تابع لأصله، وقد تشرفت مجامع جدة لمكة، وما زالت مواسم المجد لذكرها متجملة، ومباسِم البلاغة بشفاه فرائدها مُقَبَّلة، وقُبَلُ الفصاحة بوجوه قلائدها مُسْتَقْبَلَةٌ، لا يعرف لها مقتضيا ولا يعلم لها مستوجبا، إلا ما اشتهر بين الحاضر والبادى، حتَى أذاعها الولىُّ وأذعن لها المعادى، من إيثارها الخير بعد اختبارها، وإيلاء الصنايع إلى مستحقها، وما زالت نسيم بوارق مآثرها التى راقت، وبرود حدائق مفاخرها التى فاقت، شمول إحسانها المسفر عن فلق الصَّباح، ما استنفد شكرها واستغرق وسعها، وفى فلك بدرها أقول:

يا شَمْسُ جدة حَدثنى تَرَى عجب؟
مما جنانى وناجى البحر من فلقه

وأما أَحْوِشتها المحتوية على قصور عوالى، ومرافق ومراجع ومجالس، وغير ذلك فهى لا تحصر، وتكاد مع عظمها [تشبه] بمصر.

فمن أكبرها وأعظمها الحوش المعروف بحوش الشريف، وهو قريب من الْبُنْط، بناه مولانا الشريف عبد الله ابن المرحوم مولانا الشريف محمد بن عَوْن أمير مكة والحجاز، وهو مُعَدٌّ للحجاج والتجار، مشتمل على مَحَلاَّتٍ على نفيسة وقصور عوالى، رئيسة.

وقال الأديبُ محمد أفندى الساعاتى مؤرخًا هذا الحوش:

خَيْرُ الْبِنَاءِ الذى عَمَّتْ منافعُهُ
كُلَّ الْبَرِيَّة مِنْ نَاءٍ وَمِنْ دانى

كالرَّوْضِ قَدْ سَجَعَتْ وُرْقُ الوُفُود به

كَـــأنَّهـــا طَرَبًـا تُثْنى عَلـىَ الْبَـــانِى

الْعَبْدَلِىّ الذى ....(١):

....

بِتَـاجِ دَوْلَتِـهِ الإقْــبـضَــالُ أَرَّخَـهُ:

(أَقَامَ هَذَا ابْـن عَوْنٍ مَلْجَا الْـعَانى)

ومنها: حوش مثقال، وهو لأحد خواص الشريف غالب، أمير الحجاز سابقًا.

ومنها: حــوش الدولة، ومنها: حــوش أبو اليُسَر، وحــوش الصالحــة وحوش عُكاش وحوش النخلة.

وجملة أحواشها تنوف على مائة حوش، مشـتملة على قصور وبيوت مرونقة وأكشاك على البحر، من أنفسها كشك حوش الشرايبى، فهى نفيسةٌ أنيسةٌ، وفيها يقول الشاعر:

أحــــواش جـــــدة زخـــــرفت

لمــــا رأتْ جُـــــلاَّســــــهـــــا

فــــــد رقــــــقت أذهــانهـــــا

لمــــا صـــــفت أنــفــاســـــهـــا

وأمَّا المــساجد فأشــهرها: مسجــد الشافعى، ذكــر ابن جبير فى رحلتــه أنه رأى بجدة مســجدين ينسبــان إلى عمــر بن الخطاب ﷺ، أحدهما يقــال له: مســجد الأبنُوس، وهو معروف، والآخر غير معروف(٢).

أقول: ولعله الذى يقال له الآن مسجد الشافعى. انتهى.

ومنها: مسجد عكاش، وهو من مساجد جدة القديمة.

---

(١) البيت غير واضح فى الأصل.

(٢) ابن جبير: الرحلة ص ٥٠.

وهذا المسجد هو الشهير بقول الغزالى فى «الإحيَاء»[١] فى (باب السماع) والإمام عز الدين بن عبد السلام فى كتابه: «حل الرموز ومفاتيح الكنوز» عن طاهر بن بلبل الهمدانى رحمه الله قال: وكان من أهل العلم والفضل أنه قال: كنت معتكفًا فى جامع جدة على البحر فرأيت طائفة تقول فى جانبى قولا ويستمعون، فأنكرت عليهم بقلبى وقلت: فى بيت من بيوت الله يقولون الشعر؟! قال: فرأيت النبى ﷺ فى تلك الليلة وهو جالس فى تلك الناحية، أى ناحية المسجد المذكور بجدة، وإلى جانبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وإذا أبو بكر يقول شَيْئًا من السماع، والنبى ﷺ يسمع منه ويُصْغِى، ويضع يده على صدره كالمتواجد، فقلت فى نفسى: ما كان ينبغى لى أنْ أنكر على هؤلاء القوم الذين كانوا يسمعون، فالتفت إلَىَّ رسول الله ﷺ وقال: هذا حَقٌّ بِحَقٍّ، أو قال: حَقٌّ مِنْ حَقٍّ، شكٌّ من الراوى. انتهى.

ومنها: مسجد الحنفى، وهو قريب من قصبة الهنود، وهو مسجد عظيم الفضل من المساجد القديمة أيضًا، تقام فيه الجمعة والجماعة.

ومنها: مسجد سيدنا عثمان بن عفان، جهة القلعة.

أقول: ولعله المذكور فى قول ابن جبير بمسجد الأبَنُوس.

وكذا مسجد الباشا، ومسجد المغربى جهة باب مكة، ومسجد المعمار، وهو مسجد لطيف تقام فيه الجمعة أيضًا، ومسجد الحضارم وهو جهة سوق النَّدَا وغير ذلك.

وأما الزوايا[٢] فهى تنوف عن المائة، منها: زاوية السادة الشاذلية، نفعنا الله بهم،

---

(١) إحياء علوم الدين ج ٦ ص ١١٢٣.

(٢) معروف موقف علماء المسلمين المحققين من الزوايا ومن أصحاب الزوايا، فقد ابتلى المسلمون بطائفة من هؤلاء انتسبوا للتصوف، وهم على جانب عظيم من جهل أصول الإسلام، وعن طريق هؤلاء وأمثالهم انتشرت البدع والخرافات.
وقد طهر الله ـ وله الحمد ـ بلادنا ـ من هذه الزوايا، ومن جميع ما ابتدعه أهلها فى الدين.
والغاية من دراسة التاريخ العظة والاعتبار، وهذا مما يدفع إلى نشر أمثال هذه الكتب على ما فيها للاتعاظ والعبرة، وإدراك ما أنعم الله به علينا من نعمة أعظمها السلامة من البدع والخرافات (حاشية المطبوع).

بحارة اليمن، بناها العارف بالله تعالى شيخنا السيد محمد بن محمد الفاسى الشاذلى المغربى، فى سنة تسع وسبعين تَمَّ بناؤها، وهى وراء القشلة من جهة البحر، يذكر فيه الله تعالى، وهو مجمع للفقراء الصادقين، والأولياء العارفين، نفعنا الله بهم أجمعين.

وفى سنة ثمانين زيد فيها البناء والإتقان فأرسل إليها شمس الأقران العالم العامل الأخ فى الله سيدى محمد ابن الفاضل العلامة سيدى الشيخ محمد العزب الشافعى المدنى عالم المدينة المنورة تاريخًا يقول فيه:

إن جَنَّ ليلُ الحادثات وعسعسا
والقلب من رَيْنِ المعاصى قد قسا
وعجزت عن إصلاحه وعلاجه
وتزايد الوجد الشديد مع الأسا
فانهض إلى غوث الأنام المتقى
فَبِرِشده صبحِ الفلاح تنفَّسَا
هو شيخنا الفاسى محمد من سما
طوبَى لمن بِسنِىِّ سيرته انتسا
قطب الورى للشاذلىِّ خليفة
يحكى البدور إذا الدُّجَا قد أغلسا
لاَ غَرْوَ جَمع الجمع بعض صفاته
فمقامه فى الحضرتين تقدسَا
شمس العوارف والحقيقة والهدى
قد شاد رَبْعا بالمعارف أنفسا
وبه زوايا العارفين تعمرت
يكفيك زاوية بها قد غرسا
فلقد كستها حُلَّةٌ أسراره
فتكاملت أنعِمْ بذلك مِنْ كِسا

فَـــأمُمْ رُبَاها والتَـــمِسْ لى دعـــوةً

فَـعَسَى بهــا يحـيــا الفواد عَـسَى!!

وَعُـبَـيْدُ كُـمْ نَجْلُ الملقَّب بالْعَـزَبْ

يرجـــو يكون بِذِكْـرِهَــا مُـتَـأنِّـسَـا

أنَّى لَهُ أنْ يـســـتطيع مُـــؤَرِّخَــا:

(وعلى التُّـــقى بنيـانُهـا تَـأسَـسَـا)

= ١٠٧ + ٥٣٢ + ١١٩ + ٥٢٢ = ١٢٨٠

فهرس الفهارس

١ - فهرس الآيات القرآنية

٢ - فهرس الأحاديث النبوية

٣- فهرس الأعلام

٤ - فهرس الأمم والطوائف والجماعات ونحوها

٥- فهرس البلدان والأمكنة

٦ - فهرس الأيام والغزوات

٧- فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

٨- فهرس الألفاظ الاصطلاحية

٩ - فهرس الأشعار

١٠- فهرس المصادر والمراجع

١ - إحياء علوم الدين: الغزالى (محمد بن محمد أبو حامد ت ٥٠٥ هـ) طبعة دار الشعب، القاهرة.

٢ - أخبار مكة: الفاكهى (محمد بن إسحاق، من علماء القرن الثالث الهجرى) مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة ١٩٨٦م.

٣ - الأعلام: الزركلى (خير الدين) طبعة بيروت ١٩٦٩م.

٤ - الإعلام بأعلام بيت الله الحرام: النهروالى (محمد بن أحمد المكى ت ٩٨٨هـ) لايبزج ١٨٥٧م.

٥ - إهداء اللطائف من أخبار الطائف: العجيمى (حسن بن على ت ١١٣ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٦م.

٦ - تاريخ الطبرى (محمد بن جرير ت ٣١٠ هـ) دار المعارف بمصر ١٩٦٠م.

٧ - حسن القرى فى أودية أم القرى: ابن فهد (جار الله محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤ هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ٢٠٠٠م.

٨ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب: ابن الوردى (سراج الدين أبو حفص عمر ت ٨٦١هـ) دار الشرق العربى، بيروت ١٩٩١م.

٩ - رحلة ابن جبير (محمد بن أحمد الكنانى ت ٦١٤ هـ) القاهرة ١٩٥٥م.

١٠- رسالة فى فضل جدة: ابن فهد (محمد بن عبد العزيز ت ٩٥٤ هـ) مجلة الخليج للدراسات العربية.

١١- السلاح والعدة فى تاريخ بندر جدة: ابن فرج (عبد القادر بن أحمد ١٠١٠هـ) طبعة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ١٩٩٧م.

١٢- سنن الترمذى (أبو عيسى محمد بن عيسى ت ٢٧٩هـ) بيروت.

١٣- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام: الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢ هـ) بيروت ١٩٨٥م، وطبعة مكتبة النهضة الحديثة بمكة ١٩٩٩م.

١٤- صحيح مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابورى ٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى، طبعة دار الحديث، القاهرة ١٩٩٦م.

١٥- العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: الفاسى (تقى الدين محمد بن أحمد ت ٨٣٢هـ) القاهرة ١٩٦٠م.

١٦- الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة: الشوكانى (محمد بن على ت ١٢٥٠هـ) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٦٠م.

١٧- القاموس المحيط: الفيروزابادى (محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ) القاهرة ١٣٣٠ هـ.

١٨- كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال: المتقى الهندى (علاء الدين على ت ٩٧٥هـ) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٩م.

١٩- لسان الميزان: ابن حجر (أحمد بن على العسقلانى ت ٨٥٢ هـ) حيدر آباد، الهند ١٣٢٩ هـ.

٢٠- مجمع الأمثال: الميدانى (أحمد بن محمد النيسابورى ت ٥١٨ هـ) مطبعة السنة المحمدية، القاهرة ١٩٥٥م.

٢١- المسالك والممالك: البكرى (أبو عُبيد: عبد الله بن عبد العزيز ت ٤٧٨هـ) تونس ١٩٩٢م.

٢٢- المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها فى النظام المترى لفالترهنتس، عمان، منشورات الجامعة الأردنية ١٩٧٠م.

٢٣- ميزان الاعتدال: الذهبى (محمد بن أحمد ت ٧٤٨ هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٤- النهاية فى غريب الحديث والأثر: ابن الأثير (المبارك بن محمد ت ٦٠٦ هـ) مطبعة عيسى الحلبى، القاهرة ١٩٦٣م.

٢٥- وفيات الأعيان: ابن خلكان (أحمد بن محمد ت ٦٨١ هـ) دار صادر بيروت ١٩٧٢م.

١٠- فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر
ت : ٥٩٢٢٦٢٠ فاكس ٥٩٣٦٢٧٧